

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	نعم المعد الواحد

الأعلانات يثنى عليها مع الإدارة

# المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

السنة الثالثة

القاهرة في يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٥٤ - ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥

المعد ١٢٢

## في الجمال...

بحث تحليلي نهديه الى الآنة شرلوت  
واصف ملكة الجبال العالي في هذا العام

ما هو الجميل ؟ الجميل في اجماع الناس هو ما ينشئ في القهن  
فكرة سامية عن الشيء في الطبيعة ، أو عن الموضوع في الفن ،  
فيتمت في نفسك عاطفة الإعجاب به . ولكن ماهي على التحديد  
الصفات التي تبعث اللذة وتشير الإعجاب في بدائع الفن أو في  
روائع الطبيعة ؟ ذلك ما نحاول شرحه في شيء من الاقانة  
الطبيعة والفن إنما يحدثان أثرهما في النفس إما بالفكرة وإما  
بالعاطفة وإما بالشعور الصادر عن آلات الحس ؛ ومن ذلك  
تنوع الجمال فكان عقلياً وأديبياً ومادياً ماني ذلك شك . ففي  
أى الجهات إذن تتعرف النفس والعاطفة والحواس وجوه الجمال ؟  
إن الخصائص المميزة للجمال هي القوة ، والغيرة (١) ، والدكاء ؛  
والمراد بالقوة شدة العمل وحده ، وبالغيرة ككثرة الوسائل  
وخصوبتها ، وبالدكاء الطريقة الرشيدة المفيدة لتطبيق هذه  
الوسائل . ولا جدال في أن الحواس ليست كلها أهلاً لتقبل هذه  
الخصائص الجمالية الثلاث ، وإنما ينفرد منها السمع والبصر  
بنقل أحاسيسها نقلاً قوياً يثير الدهش والإعجاب واللذة . أما

(١) الغرة : مصدر وقر الشيء اذا كثرت واتسع وتم وكل

## فهرس المعد

صفحة	
١٧٦٦	في الجمال : أحمد حسن الزيات ...
١٧٦٣	فوق الأدبية ، الاسراء : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي والمعراج ...
١٧٦٦	مدينة الزهراء : الأستاذ محمد عبدالله عنان ...
١٧٦٩	بين العجزة واللم : الأستاذ زكي نجيب محمود ...
١٧٧١	منارل الفضل : الأستاذ محمد محمود جلال ...
١٧٧٤	نجور القانون : الأستاذ جمال الزرقاني ...
١٧٧٦	ذكرى ٢٤ يونيو : الأستاذان علي الطنطاوي وسليم الزركلي ...
١٧٧٨	مركة عدوى : القريض طه باشا الهاشمي ...
١٧٨٠	شارلوت سكوداي : ترجمة الأستاذ حسن عبد الحليم لوماس كارليل ...
١٧٨٣	الكائنات النبيلة في شعر : خيمي حماد ...
١٧٨٥	الدكتور محمد اقبال : السيد أبو النصر الحسيني الهندي
١٧٨٨	كلمات (قصيدة) : الأستاذ جميل صدق الزهاوي
١٧٨٨	للوت : الأستاذ غري أبو المود ...
١٧٨٩	للادة : الأستاذ محمود غنيم ...
١٧٨٩	حماق - لكيتس : عيسى وهب الله الشميرى ...
١٧٩٠	حروب طروادة (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ...
١٧٩٤	رحلة إلى حدود مصر الغربية : الأستاذ محمد ثابت ...
١٧٩٧	مشاكل الشرق الأقصى - كتاب طريف عنها . بحث الصحافة الألمانية في ظل الارهاب الملهى ...
١٧٩٨	مدينة لبيبا في انكلترا . مجمع اللغة العربية الملكي . ذكريات من أ كابر الكاب ...
١٧٩٩	البساتنة القوية : كتب : الأستاذ محمد سعيد الريان المعس للانشاء العربي ...

الذكاء ، وقوة عظيمة في التفكير ؛ وشعور المرء بالجمال فيها ، موقوف على ادراك القوة التي تقتضيها ؛ فالماضى أمام الأحرف الهجائية ، والتلفيد أمام منطق أرسطو ، لا يجدان فيهما من الجمال ما يحبه الفيلسوف ، لأنه يدرك ما اقتضياه وتضمناه من الذكاء والقوة

أما في البلاغة والشعر فأبين خصائص الجمال الذكاء والفيرة ؛ فتزاحم المواطن ، وتكثر الصور ، وتوافر الأفكار ؛ ثم اتساع الخواطر بالدهن النير الذي يحببها ويقويها ويستولدها ، وغزارة اللغة وخصوبتها وقدرتها على أن تعبر عن العلاقات الجديدة للحياة ، أو على أن تفيض من الحرارة والقوة على الحركات المختلفة للنفس ، كل أولئك يملأ شعاب القلب بالاعجاب ، وذلك الاعجاب الذي نحسه هو عاطفة الجمال

\*\*\*

وشأن الجمال في المادة لا يختلف عن شأنه في الفكر والمطرفة ؛ فانك إذا رحت تبحث في الطبيعة عن الصفة العامة للجمال لم تجددها غير القوة ، أو الفرة ، أو الذكاء . ففي الحيوان تجد هذه الصفات الثلاث مجتمعة ومتفرقة ، ففي جمال الأسمدة القوة ، وفي جمال الطاووس الفرة ، وفي جمال الإنسان الذكاء . ولا أقصد ذكاء الإنسان في نفسه ، إنما أقصد ذكاء الطبيعة<sup>(١)</sup> في تهيبته وتنقيفه ؛ وذكاء الطبيعة ممناه مطابقة طرائقها لصورها ، وملاءمة وسائلها لغاياتها . فقائمتها من الرجل غير غائبة عن المرأة ، ولذلك اختلفت الوسائل في الزوجين ، وتباين مقياس الجمال في الجنسين . أرادت من الرجل أن يعمل ويقاوم ويحمي زوجته ويمول أسرته ، فزودته بما يحقق هذا المراد ويحضى تلك الإرادة : تركيب وثيق يحكم تنم ملامحه على السرعة والمهارة والقوة والشجاعة ، وجسم متجاوب الأعضاء متناظر الشكول متوازن الأوضاع يصلح لكل عمل ويقدر على كل حركة ويستقيم على أي صورة ، ورسومات من الشهامة والجرأة والحنان والحساسية تفيض من العيون وتنتشر على الوجوه وتختلج على الشفاه ، وجملة من الصفات الخلقية والجسمية تؤلف في الإنسان مزاجاً الجمال المذكور ؛ فإذا قلت رجل جميل كان معنى ذلك أن الطبيعة وهي تكونه عرفت ما تفعل ، وفعلت ما تريد

جرحس الزماي

( للبحث بنية )

(١) تريد بالطبيعة ما يقابل النفس ؛ والفن صنع الإنسان كما أن الطبيعة صنع الله

الانفعال الذي يأتيك عن طريق الشم والذوق واللمس ، فلا ينشأ عنه فكرة ولا عاطفة ، لأن الطعوم والروائح ، واللمسة والخشونة ، والصلابة واللينة ، والحرارة والبرودة ، أحاسيس بسيطة عقيمة قد توقظ في النفس ذكرى خاية أو عاطفة غائية ، ولكنها لا تنتج واحدة منهما . وإذا كان البصر آلة الجمال الحسي أو المادي ، والسمع آلة الجمال العقلي والخالق ، فإن في هاتين الحاستين الدليل على خصائص الجمال الثلاث ، ذلك لأن أجل ما يؤثر في العين والأذن هو ما يبلغ من القوة والفرة والذكاء أسى غاية ؛ وجمال الأشياء إنما يتفاضل فيهما بمقدار ما يشتمل عليه من هذه العناصر ؛ وكلما نقص عنصر منها أو قل ، ضعف فينا الشعور بالجمال على نسبه . ما الذي يجعل لعمل النفس وهما الفكر والإرادة هذه الصفة التي تملك اللب في العبقرية والفضيلة ؟ لاشئ غير القوة والفرة والذكاء ، سواء أكان ما تنجب به براعة للصنع أم مهارة الصانع . إن الطبيعة في ذاتها فضيلة ، ولكنها لا تكون جميلة إلا إذا اقترنت بالقوة ؛ فسقراط في الحكماء ، وعمر في الخلفاء ، مثلان سائران في جمال الخلق ، ولكنك إذا جردت أخلاقهما مما ينسب عن القوة وخواصها من الصدق والصبر والشجاعة والسمو ، ذهب الجمال وبقيت الطيبة . إذا صنعت المروء في صديقك وعدوك كان الفعل كريماً في الخالين ، ولكنه في الصديق عادي لأنه بسيط سهل ، وفي العدو ممتاز لأنه عظيم شاق ؛ وفي هذه القوة التي تقتضيها تلك المشقة كان جماله . إن وقاء السموم بدروع امرئ القيس فضيلة ، ولكن اقترانه بالقوة على تضحيته بانه جعله آية في جمال الوفاء ؛ وإن تنفيذ بروتوس عقوبة الموت على أحد المجرمين عادة مألوفة ، ولكن تنفيذه إياها على بنيه الذين اشعروا بروما مثل نادر لجمال البطولة . وموقف هكطور مع أندروماك ، وموقف أسماء بنت أبي بكر مع ابن الزبير لا يقلان جمالاً عن ذينك الموقفين . ومر الجمال في كل ذلك إنما هو تلك القوة الخارقة في تغليب فكرة الواجب على عاطفة البتوة

\*\*\*

كذلك الحال في أعمال الذهن ؛ فغل معضلة في الهندسة ، واكتشاف عظيم في الطبيعة ، واختراع عجيب في الميكانيكا ، ونظام محكم الوضع في التشريع ، وقطعة قوية التفكير والنصير في الأدب ، كلها أعمال جميلة ؛ لأنها تستلزم نصيباً موفوراً من

## فوق الأدمية

### الاسراء والمعراج

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

من أعجب ما اتفق لي أني فرغت من تسويد هذا المقال ثم أردت نقله فتسمر على وصرفت عنه بألم شديد اعتراني والتفتي منه ثقل في الصاغ<sup>(١)</sup> ؛ ثم كشفه الله بسد يوم فراجت الكتابة ، فاذا قلبي يبيت بهذه الكلمات :

كيف يستوطني السلون العجز ، وفي أول دينهم تسخير الطبيعة ؟

كيف يستشهدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟

كيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟ كيف لا يحملون النور للسام ، ونبئهم هو الكائن النوراني الأعظم ؟

\*\*\*

قصة الاسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا النجم الانساني العظيم ، وهذا النور المتجسد لحماية العالم في حيرة ظلماته النفسية ؛ فان ساء الانسان نظم وتضيء من داخله بأغراضه وممانيه ، والله تعالى قد خلق للعالم الأرضي شمساً واحدة تنيره وتحميه وتنقلب عليه بلياله ونهاره ، يذأ أنه ترك لكل انسان أن يصنع لنفسه شمس قلبه وغمامها وسحابها وما تسخير به وما تنظم فيه . ولهذا سمي القرآن نورا لعمل آدابه في النفس ، ووصف المؤمنون بأنهم « يسي نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » ، وكان أثر الايمان والتقوى في تعبير القرآن الكريم أن يحمل الله للمؤمنين نورا عيشون به

ولقد حار القسرون في حكمة ذكر « الليل » في آية « الاسراء » من قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد

(١) لما اعتراني هذا كتبت للأستاذ الزيات أخبره به ليعلم أن المقال سبأ آخر من موعده

الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئلا من آياتنا . فان السرى في لغة العرب لا يكون إلا ليلاً ؛ والحكمة هي الاشارة إلى أن القصة قصة النجم الانساني العظيم الذي تحول من انسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة ، ويتم هذه المعجزة أن آيات « المعراج » لم تجز إلا في سورة « والنجم » وعلى تأويل أن ذكر ( الليل ) اشارة إلى قصة النجم ، تكون الآية برهان نفسها ، وتكون في نكفها قد جاءت معجزة من المعجزات البيانية . فاذا قيل إن نجماً دار في السماء ، أو قطع ما تقطعه النجوم من المسافات التي تعجز الحساب ، فهل في ذلك من عجيب ؟ وهل فيه شك أو نظر أو تردد ؟ وهل هو إلا من بعض ما يسبح الله بذكره ؟ وهل يكون إلا آية اتصلت بالآيات التي يراها اتصال الوجود بعضها ببعض ؟

وأنا ما يكاد ينقضي عجب من قوله تعالى : « لئلا من آياتنا » مع أن الألفاظ كما ترى مكشوفة واضحة ، يخيل اليك أن ليس وراءها شيء ، ووراءها السر الأكبر ؛ فانها بهذه العبارة نفى على اشراف النبي صلى الله عليه وسلم فوق الزمان والمكان يرى بغير حجاب الحواس مما مرجعه إلى قدرة الله لا قدرة نفسه ، بخلاف ما لو كانت العبارة ( يرى من آياتنا ) فان هذا يجعله لنفسه في حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها ، فيضطرب الكلام ويتطرق اليه الاعتراض ولا تكون ثم معجزة . وتحويل فعل ( الرؤية ) من صيغة إلى صيغة كما رأيت هو بينه اشارة إلى تحويل الرأي من شكل إلى شكل كما سترفه ، وهذه معجزة أخرى يسجد لها العقل ؛ فتبارك الله منزل هذا الكلام !

وإذا كان صلى الله عليه وسلم نجماً إنسانياً في نوره فان يأتي هذا إلا من غلبة روحانيته على مادته ؛ وإذا غلبت روحانيته كانت قواه النفسية مهيأة في الدنيا لمثل حالتها في الأخرى ؛ فهو في هذه المعجزة أشبه بالهواء المتحرك . قل الآن : أيتعرض على الهواء إذا ارتفع بأنه لم يرتفع في طيارة . . . ؟

ومن ثم كان الانسان إذا ساء درجة واحدة في ثبات قواه الروحية ، ساء بها درجات فوق الدنيا وما فيها ، وسُخِّرَتْ له الماني التي تسخر غيره من الناس ، ونشأت له نواميس أخلاقية غير النواميس التي تتسلط بها الأهواء . ومتى وُجد الشيء من

الوجود ويصير ما يقع على البعد ويرى ما هو آت قبل أن يأتي .  
وما الكون في هذه الحالة إلا كالمنشوق يقول لماشقه الذي وقع  
في قلبه الحب : قد آتيتك نوراً تنظر به جمالي

\*\*\*

وفي علماء عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر ، وفيهم  
من يعمل المخاطبة مع الأفلاك ، وفيهم من تقع له العجائب في  
استحضار الأرواح وتستخيرها . وكل ذلك أول البرهان الذي  
سَيُلْزِمُ القم فيضطره في يوم ما إلى الافراد بصحة الاسراء  
والمعراج ..

ونحن قبل أن نبدي رأينا في القصة نلّم بها للامة موجزة ؛  
فقد اختلفت فيها الأحاديث ووقع فيها تخليط كثير لجاءت فتونا  
وأوعاك من طرق شتى حتى جمعا بعضهم في جزءين<sup>(١)</sup> ، وما  
تحتمل كل ذلك ولا بمضه ؛ ولكن روح الرواية في ذلك الزمن  
كانت كروح الصحافة في هذا العصر ، متى قامت قوتها  
استحدثت من كل عبارة عبارة أخرى ، وعلى هذه الطريقة تخرج  
من العبارتين عبارة ثالثة ، فيكون الأصل معنى واحداً وإذا هو  
يُكْمَدُ من عينه ويساره

ولا يرون بذلك بأساً فانهم يَشُدُّون به الرأي ويضاعفون  
منه اليقين ، ويزيدون ضوءاً في نور المعنى ، وما داموا قد أتتوا  
الأصل واستيقنوه فلا حرج أب يؤيد القول بمضه بعضاً  
باجتهاد في عبارة ، واستنباط من أخرى ، وزيادة في الثالثة —  
نما هو بسبيل منها ، على نحو ما نرى من فن الرواية القصصية ؛  
إذ تعتمد الأساليب والعبارات مختلفة متنوعة ، وليس تحتمل إلا  
حقيقة واحدة لا تختلف . والقصاص الديني في هذه اللغة العربية  
فن كامل قائم بنفسه لا يُدْعى العقل والخيال والمخاطبة أقوى منه  
ولا أعجب ولا أغرب

هذا في متن القصة ؛ أما في واقعها فقد اختلفوا اختلافاً  
آخر ؛ هل كان الاسراء والمعراج بقطة أو متاماً ، وبالروح  
وحدها أو بالروح والجسم معاً ؟ وإنما ذكرنا هذا الخلاف لأنه  
الدليل القاطع على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر بشيء من  
ذلك فلم يمتين لم وجهاً من هذه الأوجه . والحكمة في ذلك

(١) قال الذهبي : إن الجناظ عبد الذي جمع أحداث الاسراء في جزئين

الأشياء كانت طبائع وجوده هي نوايميه . فالتأثر مثلاً إذا هي  
تضرمت أوجلت الاحراق فيما يحترق ، فان وضع فيها مالا  
يحترق أبطل نوايميهما وغلب عليها

وكل معجزة تحدث فهذا هو سبيلها في إيجاد النوايميس  
الخاصة بها وإبطال النوايميس المألوفة ، وبهذا يقال إنها خرقت  
المادة ؛ ومن النور نور لا يشف له غير الهواء ، ومنه أشعة  
(دنتجن) التي تشف لها الجدران والحجب ؛ فهذه معجزة في ذاك

\*\*\*

والنبي لا يكون نبياً حتى يكون في إنسانه إنسان آخر  
بنوايميس تجمله أقرب إلى الملائكة في روحانيته ؛ وما يزل  
إنسانه الظاهر من الانسان الباطن فيه إلا منزلة من يتاق من  
يُعطى . فذاك الباطن هو للحقائق التي لا تحملها الدنيا ، وهذا  
الظاهر لما يمكن أن يبلغ إليه الكمال في النبل الانساني الأعلى ،  
ولولا ذلك الباطن ما استطاع نبي من الأنبياء أن يحمل هموم أمة  
كاملة لا تضنيه ولا تثيره ولا تعجزه

حقيقة النبوة أنها قوة من الوجود في انسان مختار جاءت  
تصلح الوجود الانساني به لتُقر في هذه الحيوانية للهذبة مثلها  
الأعلى ، بدلاتها على طريقها النفس مع طريقة الطبعي ؛ فيكون  
مع الانحطاط الرق ، ومع النقص الكمال ، ومع حكم الفرزة  
التحكم في الفرزة ، ومع الظلمة للمادية الاشراق الروحاني

وما المعجزات إلا شأن تلك القوة الباطنة لا شأن إنسانها  
الظاهر . ومن الذي ينكر أن قوى الوجود هي في قسمها إعجاز  
للعقل البشري ؟ وهل ينكر اليوم أحد شأن هذه القوة في (الرايو)  
حين مسته فجئت الكلمة التي ترسل بين الشرق والغرب ،  
كالكلمة بين اثنين يتحدثان في مجلس واحد ؟

ونحن نرى معجزات التنويم المغناطيسي وما يصير . التأم وما  
يسمعه وما ينكشف له مما وراء الزمان والمكان ؛ وليس التنويم  
شيئاً إلا تسليط الذات الباطنة بقواها الروحية المعجبية على القات  
الظاهرة المقيدة بحواسها المحدودة ، فتطني عليها فتصبح الحواس  
مطلقة شائعة في الوجود بمقدار ما فيها من قواء لا بمقدار ما فيها من  
قوة شخصها ، وعلى نحو من ذلك يتصل الرجل الروحاني بذاته  
الباطنة ، فيوقع شخصه الظاهر في الاستهواء ، فينكشف له

ونحن على الرأي الذى عليه جمهور العلماء من أن الاسراء والمراج كما بالجسم والروح معاً على التأويل القى سنيته .  
ويثبت ذلك قوله تعالى فى سورة (النجم) : « لا يذيقنى السُّدرة ما ينشئ ، ما زأغ البصر وما طنى » . فلا يكون البصر يزيع ويطنى إلا فى الجسم ولا ينتقى عنه ذلك إلا وهو فى الجسم . ولم ينتبه أحد من المفسرين إلى المعنى المجزء العجيب فى قوله ( وما طنى ) ؛ فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد محول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شيء ، إذ لا يكون طنينان البصر إلا من تسلط الخيال عليه بأهواء الجسم التى لا يستقيم بها حكم على حقيقته ، فما زأغ البصر بكونه مفيد الحاسة ، ولا طنى بكونه مطلق الخيال ، بل كان كما يُرى الله من آياته ، أى كان حقيقةً كونيةً فى غير حالها الأرضية الناقصة

والذين قالوا إن الاسراء والمراج كانا رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وسلم ؛ احتجوا لذلك بقوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للداس » وقد خلط المفسرون فى هذا أيضاً ، وإنما كان التعبير بلفظ « الرؤيا » وهى التى تكون مناماً ، لى تأثير الحواس على الرأى واثبات أن الطبيعة الآدمية بجملتها كانت فيه كاللأمة عن حياتها الأرضية بمحافظتها وأخيلتها معاً فليس نأثماً كالنائم ولا مستيقظاً كالمتيقظ

وفى أساس القصة جبريل والبراق وهما القوة الملائكية ، والقوة الطبيعية ، أو الروح الملائكى والروح الطبيعى ، ولم يوصف البراق بأنه دابة إلا رمزاً إذ لا يأتى للعرب أن يفهموا ما يراد منه وعندنا أنه سعى البراق من البرق ، وما البرق إلا الكهربائية ، وهذا هو المراد منه . فذلك قوة كهربائية متى نبغضت جمت أول العالم بآخره . وهذه هى الحكمة فى أن آية الاسراء لم تذكر أنه كان محمولاً على شيء إذ لم يكن محمولاً إلا على الروح الأثير وما دامت القوة الملائكية والقوة الطبيعية قد سُخرتا له صلى الله عليه وسلم فلا معنى لأن يكون ذلك للروح وحدها ، بل اجتماعهما معاً فى القمة دليل على أن سر المعجزة إنما كان فى تيسير ملازمة جسمه الشريف لهاتين الحالتين ؛ فيتحول فى صورة كونية ملائكية بين سر الملك وسر الطبيعة ، وحينئذ لا تجري عليه أحكام الحواس ولا أحكام المادة

ومن الممكن أن تتحول الأجسام إلى حالتها الأثيرية فى بعض

أن عقولهم لم تكن تحتل الإدراك الملقى الذى أساسه الكهرومغناطيسية .

والخلاصة التى تتأدى من القصة : أنه صلى الله عليه وسلم كان مضطجاً فأماه جبريل فأخرجه من المسجد فأركبه البراق فأنى بيت المقدس ثم دخل المسجد فعلى فيه ، ثم عرج به إلى السموات فاستفتحها جبريل واحدة واحدة ، فرأى فيها من آيات ربه ، واجتمع بالأنبياء صلوات الله عليهم ، وصعد فى سماء بعد سماء ، إلى سدرة المنتهى ، ففشىها من أمر الله ما غشها ، فرأى صلى الله عليه وسلم مظهر الجلال الأزلى ، ثم رُجَّ به فى النور فأوحى الله إليه ما أوحى

أما ونسب القصة وطرازها فباب عجيب من الرموز الفلسفية الانسانية التى رُمز بها إلى تجسيد الأعمال فى هذه الحياة ، تكون تبعاً وتقع فائدة ، أو تلتبس منفعة وشهوة وتقع مضرة وحماقة ، ثم تنفى من هذه وتلك المبشور الزمنية التى توهمها أصحابها ، وتخلد الصور الأبدية التى جاءت بها حقائقها

ومن هذه الرموز البديسة قوله : فجاءنى جبريل بانه من خمر وإناه من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل أخذت الفطرة . وإناه مر على قوم يزرعون ويحصدون فى كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان ؛ فسأل ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنه سبعة ضعف . ثم أتى على قوم تُرْمَخُ رءوسهم بالصخر ، كلما رُمِخَتْ عادت كما كانت ولا يُفتر عنهم من ذلك شيء . فقال ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولم آخرنى فى قدر خبيث ، فجلوا يا كلون من النبى الخبيث وتدعون النضيج . فقال ما هؤلاء ؟ قال جبريل : هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيب فىأتى امرأة خبيثة ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً . ثم أتى على رجل قد جمع حُرمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها . ثم رأى نساء مطلقات بشديهن ، فسأل ، فقال جبريل : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم

## ١ - مدينة الزهراء

ومباتها الملوكية الفصيرة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قرأنا منذ حين في بعض الأنباء الخارجية أن بعض الهيئات الأثرية في إسبانيا تعنى بالبحث لاكتشاف معالم مدينة الزهراء الأندلسية ، وأنها قد وقفت بالقمل إلى اكتشاف بعض أسس قديعة في ضاحية قرطبة يظن أنها من أسس قصر الزهراء ؛ وجدير بمثل هذا النبأ أن يثير شجناً في نفس أولئك الذين يستعرضون تاريخ الأندلس ، وتاريخ قاعدتها الملوكية الشهيرة التي غاضت بين صفحة الوجود حتى لم يبق من أطلالها اليوم ما يدل على مواقعها ومعالمها

كانت الزهراء من أعظم القواعد الملوكية التي عرفها التاريخ ، ولكنها لم تتمر طويلاً ولم تقم في تاريخ الأندلس بدور ذي شأن ، ولم يزلها سوى مؤسسها الناصر وولده الحكم وابنه المؤيد ، ولم تتمر كقاعدة ملوكية أكثر من نصف قرن ؛ ومن غرائب القدر أنه في الوقت الذي أكلت فيه الزهراء في عهد الحكم المستنصر ، وضعت أسس قاعدة ملوكية إسلامية جديدة قدر لها أن تؤدي في تاريخ الإسلام وتاريخ الحضارة الإسلامية أعظم دور ؛ تلك هي القاهرة المزينة التي أخذت تتفتح عظمها وبهاؤها في نفس الوقت الذي ذوت فيه عظمة الزهراء وعصفت بها حوادث الدهر ؛ ولم تكن الزهراء أول قاعدة ملوكية في الأندلس ، ولم تكن القاهرة أول قاعدة ملوكية إسلامية في الشرق أو في مصر ، فمن قبل أنشأ هشام بن عبد الملك رصافة الشام لتكون منزلاً ملوكياً لبني أمية ، وأنشأ المعتصم سامراً لتكون منزلاً له ولعقبه من بني العباس ، وأنشأ ابن طولون مدينة القطائع بمصر لتكون له ولعقبه قاعدة ملوكية إلى جانب القسطنطينية عاصمة مصر الإسلامية ؛ وفي الأندلس أنشأ عبد الرحمن بن معاوية مؤسس ملك بني أمية بالأندلس ضاحية ملوكية في قرطبة سماها الرصافة تشبهاً برصافة جده هشام ؛ وسطعت كل من هذه القواعد

الأحوال الخارقة ، وبهذا يطل على الأرض لبعض الروحانيين وتمتلل خوارق كثيرة مما يحدث في استحضار الأرواح لهذا العهد ومما يأتيه فقراء الهند ، ومما كان يصنعه « لاهوديني » الأمريكي إذ كانوا يملكونه بالسلاسل والقيود ثم يرونه طليقاً ؛ ويعبدونه في السجون المحصنة يقوم عليها الحراس وتُحسك فيها الأبواب والجدران ، ثم يجدونه في بعض الفنادق

وليس للقمل أن يشكر شيئاً من هذا ونحوه فإن تركيب الطبيعة رد عليه ، وتقصه هو رد على نفسه ، والمستحيل على الأعمى هو أيسر الممكنات على البصر فأنت ترى أن ذكر البراق والملك في أساس قصة الاسراء والمراج هو صلة القصة بالمجزأة وهو عينه ملتها بالبرهان العلوي ولو لم يكونا فيها لما كان لهما تفسير

\*\*\*

والقصة بعد ذلك تثبت أن هذا الوجود يرق وينكشف ويستضيء كلها بالإنسان بروحه ، ويظل ويتكاثف وينحجب كلها نزل بها ، وهي من ناحية النبي صلى الله عليه وسلم قصة تصفه بظهوره الكوني في عظمته الخالدة كما رأى ذاته الكاملة في ملكوت الله ، ومن ناحية كل مسلم من أتباعه ، هي كالدرس في أن يكون قلب المؤمن معراج سماوي فوق هذه الدنيا ليشهد بصيرته أنوار الحق ، وجمال الخير ، وتجميد الأعمال الإنسانية في صورها الخالدة ؛ فيكون بتدبره القصة كأما يصعد إلى السماء وينزل ؛ فيستريح إلى الحقائق الأساسية لهذه الحياة فيدفع عن نفسه بذلك وتمقيد الأخيلة الذي هو أساس البلاء على الروح ومعنى استتار القلب كان حياً في صاحبه وكان حياً في الوجود كله . ومعنى سلت الحياة من تمقيد الخيال الفاسد لم يكن بين الإنسان وبين الله إلا حياة هي الحق والخير ، ولم يكن بينه وبين الناس إلا حياة هي الرحمة والحب ما

( ملط )

منه في القصة

الى خ . خ . د . د . من أجلك وصفت حي أنا في مقالات ( الجلال الباشا ) وفي السنة الماضية كتبت مقالة ( صبر الحب ) وهي في الرسالة فارجع إليها ؛ ثم إن تعرض لك إلي ليس بعد أن تكون قرأت هذه المقالات وتديرتها فاشك إلى أنفسك منه على شرط أن تشكو إلى البوليس تلك المرأة التي يظهر لك وجهها .... كما يؤخذ من كتابك

الرائي



والسلطان المؤثر ، وقد نسبت إلى الناصر في ذلك آيات قالها في هذا المعنى :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان  
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ملك محاه حوادث الأزمان  
إنت البناء إذا تماظم شأنه أنحى يدل على عظيم الشأن  
وهكذا اختطت الزهراء في ساحة تقع شمال غربي قرطبة

على قيد أربعة أميال أو خمسة منها في سفح جبل يسمى جبل  
المروس<sup>(١)</sup> ؛ وكان البدء في بنائها في فاتحة المحرم سنة خمس  
وعشرين وثلثمائة (نوفمبر سنة ٩٣٦ م) . وعهد الناصر إلى ولده  
وولي عهده الحكم بالإشراف على بناء العاصمة الجديدة<sup>(٢)</sup> ،  
وحشد لها أمهر المهندسين والصناع والفنانين من سائر الأنحاء ،  
ولاسيما من بغداد وسطونطينية<sup>(٣)</sup> ، وجلب إليها أصناف الرخام  
الأبيض والأخضر والوردي من الرية وريه ، ومن قرطاجنة  
أفريقية وتونس ، ومن الشام وقسطنطينية<sup>(٤)</sup> ؛ وكان يشتغل في  
بنائها كل يوم من العمال والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب  
ألف وخمسمائة ، ويعد لها من الصخر النحوت نحو ستة آلاف  
صخرة في اليوم ؛ وقدرت النفقة على بنائها بثلثمائة ألف دينار  
كل عام طوال عهد الناصر أعني مدى خمسة وعشرين عاماً ،  
هذا عدا ما أنفق عليها في عهد الحكم<sup>(٥)</sup> وابنتي الناصر في  
حاضرنه الجديدة قصرًا منيف القري ، لم يدخر وسكًا في تنميته  
وزخرفته حتى غدا تحفة رائنة من الفخامة والجلال ، تحف به  
رياض وجنان ساحرة ؛ وانشأ فيه مجلسًا ملكيًا جليلًا يسمى بقصر  
الخلافة صنعت جدرانها من الرخام الزين بالذهب ، وفي كل جانب  
من جوانبه ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس  
المرصع بالذهب والجوهر ، وزينت جوانبه بالتمائيل والصور  
البديعة وفي وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ، وكانت الشمس  
إذا أشرقت على ذلك المجلس سطعت جوانبه بأضواء ساحرة<sup>(٦)</sup> ؛

(١) نزعة الشناق للدريسي (طبع روم) من ١١٣ — والسالك  
والملك لابن حوقل (من ٧٨) ويسمى ابن حوقل هنا الجبل بجل بطلش  
(٢) البيان المغرب لابن عذاري ج ٢ من ٣٤٧ — فتح الطيب ج ١  
من ٣٦٦

(٣) ابن خلدون ج ٤ من ١٤٤

(٤) البيان المغرب ج ٢ من ٢٤٦ ، فتح الطيب ج ١ من ٢٤٦

(٥) فتح الطيب ج ١ من ٢٦٥

(٦) فتح الطيب ج ١ من ٢٤٦ و ٢٤٧

الملوكية الإسلامية حينًا من الدهر ، ولكنها اختفت جميعًا من  
صفحة الوجود ، إلا القاهرة فإنها استعالت إلى عاصمة الإسلام  
في مصر ، وما زالت تقطع الأحقاب قوية راسخة ، تحمل حتى  
اليوم عمرها الألقى أعظم ما تكون الحواضر المظلمة والمدن  
الغراء ضخامة ونفامة وبهاء

كان عصر عبد الرحمن الناصر أعظم عصور الإسلام في  
الأندلس ، وكانت قرطبة عاصمة الأندلس ، قد بلغت يومئذ  
أوج المظلة والازدهار ، وأضحت تفوق بغداد ، منافستها في  
الشرق ، بهاء ونفامة ؛ ولكن قرطبة كانت بمجاهدها ودورها  
وطرقها الزاخرة ، وسكانها الخمسمائة ألف ، تضيق بما يتطلبه ملك  
عظيم كملك الناصر من استكمال الفخامة الملوكية والقصور  
والرياض الشاسعة ؛ بل كانت تضيق بهذه الأبنية الملوكية منذ  
عهد عبد الرحمن الداخل حيث أنشأ الرصافة في ظهرها لتكون  
له منزلًا ومقرًا ملكيًا . وقد كان بناء القواعد الملوكية داعمًا  
سنة المروش القوية المتأخرة ؛ فلما بلغ الناصر لدين الله ما أراد  
من توطيد ملكه وسحق أعدائه في الداخل والخارج ، عني بأن  
يعرض آيات من ملكه الباذخ ، وثاب له رأى في أن يقيم بمحور  
قرطبة ضاحية ملكية رائنة ، فأنشأ مدينة الزهراء ؛ ولانشاء  
الزهراء قصة ، وورعًا كانت أسطورة على مثل الأساطير التي ترتبط  
بقيام المدن والمنشآت المظلمة . ولم تقل لنا الرواية إن الناصر  
رأى حلمًا كالذي رآه قسطنطين فأوحى إليه بإنشاء قسطنطينية ،  
ولكنها تقول لنا إن الذي أوحى إلى الناصر ببناء هذه الضاحية  
الملوكية هي جاريته وحظيته « الزهراء » ؛ وأنه ورث من  
إحدى جواريه مالا كثيرا فأمر أن يخصص لاقتناء الأسارى  
المسلمين ، ولكنه لم يجد من الأسارى من يفندى ، فأوحى  
إليه « الزهراء » بأن ينشئ بهذا المال مدينة تسمى باسمها  
وتخصص لسكانها<sup>(١)</sup> . بيد أن نقض أن يرجع مشروع الناصر  
إلى بواعث الملك والسياسة ، وإلى عرض نفامة الملك والترفع  
بمظاهره وخصائصه عن للظاهر العامة لعاصمة مكتظة زاخرة

والظاهر أيضا أن شغفًا خاصًا بالمهارة والبناء كان يحفز  
الناصر ويذكر رغبته في إقامة هذه الضاحية الملوكية ، وقد كانت  
المنشآت والمياكل المظلمة على كرم المصور مظهر الملك الباذخ

(١) فتح الطيب للقري (مصر) ج ١ من ٢٤٥

وزود الناصر مقامه في قصر الزهراء وهو الجناح الشرق المعروف بالفرنس ، بأنفس التحف والذخائر ، ونصب فيه الحوض الشهير الذي أهدى إليه من قيصر قسطنطينية ، وأقام عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر المصع بالجواهر ، وهي تمثل بعض الطيور والحيوانات وتقف الماء من فيها إلى الحوض<sup>(١)</sup> . وقد دون هذه الروايات والأوصاف العجيبة التي تشبه أوصاف قصور ألف ليلة المسجورة عن قصر الزهراء ، أكثر من مؤرخ معاصر وشاهد عيان ، وأجمعت الروايات على أنه لم يبق في أم الاسلام مثله في الروعة والاناقة والبهاء<sup>(٢)</sup>

وأشأ الناصر في الزهراء أيضاً مسجداً عظيماً بناؤه في ثمانية وأربعين يوماً ، وكان يعمل فيه كل يوم ألف من العمال والصناع والفنانين ، وزود بمد وقباب ثغمة ومتبر رائع الصنع والزخرف ، فجاء آية في الفخامة والجمال<sup>(٣)</sup> ، وانشئت بها محلات فسحة للوحوش متباعدة الساح ومسارح للطير مظلة بالشباك ، ودار عظيمة لصنع السلاح ، وأخرى لصنع الزخارف والمالي<sup>(٤)</sup> ؛ والحلاصة أن الناصر أراد أن يجعل من الزهراء قاعدة لمملكة حقة تجمع بين نفخة الملك الباذخ وصوله السلطان المؤثر ، وعناصر الادارة القوية الدينية والعسكرية

وفي إقامة هذه المنشآت الباذخة وبذل هذه النفقات الطائلة ما يستوقف النظر ، ويحمل على تأمل ذلك الذي المدهش الذي بلغت الدولة الأموية بالأندلس من القوة والنفخة والغنى ؛ وقد انتهت إليها في ذلك أرقام مدهشة ، منها أن جباية الأندلس بلغت لعهد الناصر من الكور والقرى خمسة آلاف ألف (أعني خمسة آلاف مليون) وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن الدوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار ؛ هذا عدا أخماس الغنائم العظيمة التي لا تحصى ؛ وقيل لنا إن الناصر خاف وقت وفاته في بيوت الأموال خمسة آلاف ألف (خمسة آلاف مليون) دينار ؛ وكان يقسم الجباية من أجل النفقة إلى ثلاثة أثلاث ، ثلث لنفقة الجيش ، وثلث للبناء والمنشآت العامة ،

(١) نفع الصبيح ج ١ ص ٢٦٦

(٢) » » ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥

(٣) » » ج ١ ص ٢٦٤

(٤) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤

وثلث يدخر للطوارئ<sup>(٥)</sup> ، ولم يتردد المؤرخ الحديث في قبول هذه الأرقام حتى أن دوزي ينقلها ، ويقدر أن الناصر ترك عند وفاته في بيت المال عشرين مليوناً من الذهب<sup>(٦)</sup> ويقول لنا ابن حوقل الرحالة البغدادي الذي زار قرطبة والزهراء في ذلك العصر إن الناصر وبني حمدان ملوك حلب والجزيرة هم أغنى ملوك العالم في ذلك العصر<sup>(٧)</sup> ؛ وهذه أرقام وروايات تشهد بضخامة الدولة الأموية وطائل غناها وبذخها في عصر الناصر ، وتفسر لنا كيف استطاع الناصر إلى جانب حروبه وغزواته الكثيرة أن يضطلع بأعباء هذه المنشآت العظيمة الباهرة ؟

واستمر العمل في منشآت الزهراء طوال عهد الناصر أعني حتى وفاته في سنة خمسين وثلثمائة ؛ واستمر معظم عهد ابنه الحكم المستنصر ؛ واستغرق بذلك من عهد الخليفين زهاء أربعين سنة<sup>(٨)</sup> . ولكنها غدت منزل الملك والخلافة ، مذ تم بناء العصر والمسجد ؛ وقد كان ذلك فيما يظهر في سنة تسع وعشرين وثلثمائة في شمان من هذا العام تم بناء المسجد ، وأقيمت به أول جمعة رسمية ؛ وكان الناصر قبل ذلك بنحو عامين قد اتخذ سمة الخلافة وتسمى بألقابها (سنة ٣٢٧ هـ) ، فكانت الزهراء بذلك أول منزل للخلافة الاسلامية بالأندلس

محمد عبد الله عثامه

لبحث بنية

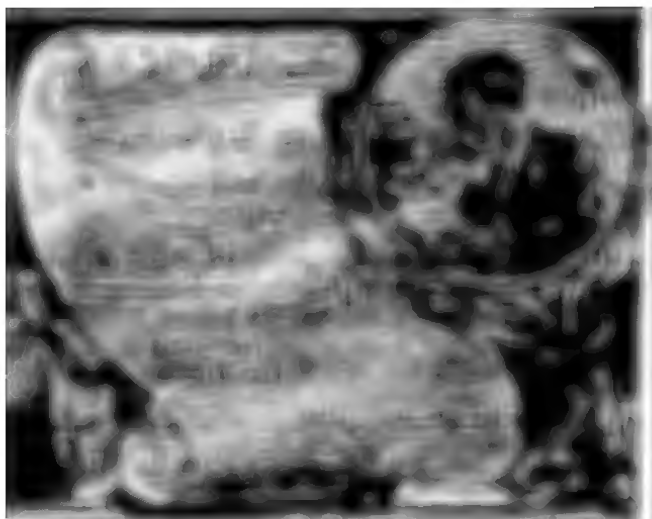
(التمتدح)

(١) نفع الطيب ج ١ ص ١٧٧ — البيان المغرب ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) Dozy : Hist des Musulmans d'Espagne II p. 173

(٣) ابن حوقل في السالك والممالك ص ٧٧

(٤) نفع الطيب ج ١ ص ٢٦٤





## بين المعجزة والعلم للأستاذ زكي نجيب محمود

أخي س :

... لم أكن أتوقع من صروف الدهر مهما أسرنت في عيها ، أن تُخرج منك ، وأنت القديس التبتل في يفوعك ، زنديقاً يكفر بما كان يؤمن به قلبك وبدن !! حتى جاءني هذه الرسالة منك ، ففضضتها وأجلت فيها البصر سريعاً ، فإذا بصفتك تحتق وتتشكر ، وإذا بك تبدولين صديك انساناً غريباً يشك بعد يقين ، وينكر بعد إيمان ! لقد مضيت في كتابك لي ترفض كل ما يزعمه الناس من المعجزات وخوارق الطبيعة ، وتلوح في كل سطر بالعلم وقوانين العلم ، وتمتع في كل سطر بالفلسفة ونتائج الفلسفة ؛ ثم ختمت الرسالة بهذه العبارة أخذتها من كتاب سبينوزا « في الدين والدولة » : « يظن الدهاء أن قوة الله وسلطانها لا يتجليان بوضوح إلا بالمحادثات الخارقة التي تناقض الفكرة التي كونوها عن الطبيعة ... إنهم يظنون أن الله يكون مُعْطِلاً مادامت الطبيعة تعمل في نظامها الممهود ، وعكس ذلك صحيح ، أي أن قوة الطبيعة والأسباب الطبيعية يبطل عملها مادام الله فعلاً ؛ وهم بذلك يتخيّلون قوتين منفصلة إحداهما عن الأخرى : قوة الله وقوة الطبيعة ؛ والواقع أن الله وقوانين الطبيعة شيء واحد » . ولقد ساءلني بعد ذلك قائلاً : « ما حاجتك إلى التمسك بالمعجزات وخوارق الطبيعة مادام العلم يفسر لنا كل شيء بقانون ١ ؟ »

ولأنني أستطيع أن أقوض عليك هذا من أساسه بضرورة واحدة حين أذكرك بما انتعى إليه هذا العلم نفسه ، من أن الطبيعة المادية لا تسير وفق قانون صارم كما يذهب بك الظن ، بل إنها قد تغير سلوكها بما لا يمكن التنبؤ به ، كالكانثات الحية سواء بسواء ؛ وإن هنالك بين أساطين العلم من يزعم أنه ليس في الطبيعة كلها ذرة واحدة تخلو من الحياة أو ما يشبه الحياة ، وكل الفرق بين حياتها وحياة الانسان هو في الدرجة لا في النوع ، فكما أنني لا أستطيع أن أتنبأ بما أنت فاعله غدا ، كذلك

لا أستطيع العلم أن يقطع جازماً بما ستؤول إليه هذه الذرة أو تلك ، لأنها بإسدي تتمتع بشيء مما تتمتع به أنت من حركة وإرادة ، وليست مجرد آلة صماء في يد القانون ١١ ولكن يجب أن أسارع إلى القول بأنه وإن تكن الذرة الفردية على شيء من الحياة التي قد تغير في سلوكها ، فإنها في مجموعها أقرب ما تكون إلى النظام الدقيق في سيرها ، كما أن الانسان الفرد حُرٌّ في تصرفه إلى حد بعيد ، ولكنه في المجموع يدير وفق أسس وقواعد لا تكاد تعرف الشذوذ

نعم أستطيع أن أقوض عليك هذا من أساسه بضرورة واحدة حين أذكرك بهذه الحقيقة العلمية التي تعترف للطبيعة بإمكان التغير في بعض جوانبها ، فذلك وحده كفيلاً بتعطيل أي تبديل في نظام الكون الممهود ، ولكني سأفرض منك أن قوانين الطبيعة يستحيل عليها الخطأ ، وأن المادة لا تملك لنفسها تغييراً ولا تبديلاً عما رسمه لها قانونها الأعلى ، فمن ذا الذي زعم لك أن المعجزة كسر لقانون الطبيعة ، ولأنه لذلك يجب اطراحها ونبذها ؟ نحن نسلم منك أن قانون الجاذبية صارم لا يقبل الشذوذ ، وأن التفاحة إذا انفصلت عن فرعها سقطت من فورها على الأرض بفعل قانون الجاذبية هذا ، ولكن هب يداً امتدت إلى التفاحة أثناء طريقها إلى الأرض فلقعتها فحالت بذلك بينها وبين الأرض ، أليكون ذلك كسراً للقانون ؟ كلا ! القانون لا يزال قوياً سليماً ، غير أن إرادة بشرية حالت دون تطبيقه لا أكثر ولا أقل ... فإذا تركت أفلامك وكتبك مبعثرة في أرض غرفتك ثم عدت بعد حين فوجدتها صعدت إلى ظهر الكتب صفوفاً منظمه ، أفقول إن قانون الجاذبية قد انقلب رأساً على عقب لأن الكتب والأفلام قد صعدت إلى أعلى بدل أن تستقر على الأرض منجذبة بها ؟ أم أنت جازم في مثل هذه الحالة بأن شخصاً بشرياً قد تدخل في الأمر بإرادته وحال بين قانون الجاذبية وبين تنفيذه حيناً ، فأمكن للكتب بذلك أن تغفل من يده ، ولكن القانون لا يزال قائماً لم يتخذه ذلك من قوته وشموله ١٢ لا أحسبك مرتاباً في صحة هذا القول ، فأنت موافق ولا شك أن الإرادة البشرية قد تستطيع أن تتوسط بين القانون وبين تطبيقه فتعطله دون أن تبطله ، نعم إنك موافق على ذلك ،

ولكنني لو حورت العبارة قليلاً سائرًا بها نحو الأقوم والأصح  
فستغضب للعلم وكرامة العلم ؛ لو زعمت لك أن الله إرادة حرة كهذه  
التي للانسان ، يستطيع بها أن يعطل قانون الطبيعة حيناً قد  
يقهر أو يطول ولكنه يظل قائماً معمولاً به لا يصيبه عطب ولا  
خسارة ، كان ذلك الزعم مني في رأيك جهلاً وحماسة ، يارك  
الله ! أفستطيع أن تحدثني بما يبرر عندك أن يكون للانسان  
ما ليس لله ؟

معدرة ، يا صديقي ، فسأقص عليك حديثاً عن كلبى ،  
وللحديث صلة ، موضوعنا ، فقد وضعت كتاباً بالأمس على مقعد  
إلى جانبي ، فجاء الكلب يتجسس ويتجسس ويشم الكتاب ،  
وأظنه قد حسبه قطعة من الجلود لا خير فيها ، فترك الكلب  
الكتاب وانصرف ؛ وإذا فرضنا أنت التفاهم مع الكلب  
ممكناً ، ثم جئت تقسم له أن في الكتاب ما ليس يدرك بالشم  
واللمس ، وأن فيه معنى إذا كان لا يدركه هو فليس يجزه دليلاً  
على عدم وجوده ، نفر وسخر وأكد لك أن حواسه مقياس  
للحقيقة لا يخطئ . . . وإني لأحسب الكون يا صديقي كتاباً  
مفتوحاً فيه من المعاني السامية ما يمكن فهمه وإدراكه لذوى  
البصيرة السليمة . ولكنني أؤكد لك أن هنالك طائفة من الناس  
ستمد أيديها وأنوفها إلى جوانب الطبيعة تتجسسها ، ثم تجزم في  
يقين لا يعرف الشك ولا التردد بأن هذه الطبيعة جماد في جماد  
يسيره هذا وهذا من القوانين في طريق مرسومة معلومة لن نشذ  
فيها خارقة ولا معجزة . . . وأعجب العجب أن تكون هذه  
الطريقة الكلبية علماً ، وأن يكون كل ماعداها تخريباً وجهلاً  
نشدتك الله إلا حدثتني كيف جاز لك أن تقطع أن لبس في  
الكون من الحقائق ما تعجز عقولنا وحواسنا عن إدراكه ؟ ولم  
لا يكون في هذا الكون الفسيح من هو أكبر منا عقلاً وأحد  
ذكاءً فيستطيع أن يقرأ في كتاب الكون ما لا نستطيعه ؟ ترى  
لو أننا الله حاسة سادسة وسابعة وثامنة ، فإذا عسانا نعرف بتلك  
الحواس الزائدة ، أم تظل أبواباً مغلقة لأن العلم قد نفذ ؟

تمال مني إلى الكون تحتكم إلى ظواهره لترى هل استطاع  
العلم أن يطلما جميعاً ، أم أن هناك ألوفاً وألوفاً يقف أمامها العلم  
مكتوف الأيدي ولا يمكن فهمها إلا أن تكون « خوارق »  
فوق العلم وقوانينه . أم تراك فاعلاً كما يفعل ذوو النزعة المادية

الضيقة ، فقطاً بقدمك كل الظواهر التي تستعصى على العلم وتكر  
وجودها حتى لا ينثلم العلم ولا يتخدش ، أو تطلب البنا أن  
نصبر وأن نتنظر حتى تم للعلم قوته وقوته فيشمل الكون كله  
بالتفسير والتعليل ؟ وفي الحق أن هذا السلاح الذي يشهره اللاديون -  
سلاح التدوير والوعد بأن العلم سيتمكن في المستقبل مما لم  
يتمكن منه اليوم - يمكن استخدامه في كل حين ، فليس نيفنا  
وبينهم موعد يبطل بعده التدوير ، ولكنها مماثلة متجددة  
لا تنقطع ولا تفرغ ؛ فإذا فرضنا أن رجلاً استطاع أن يحز رأسه -  
ويحمله فوق يديه سائرًا به في الطريق ، ثم سألت اللادين رأيهم  
في هذا أجابوك : اسبر فإن الزمن كفيف للعلم أن يبرهن على هذه  
الظواهر وأشباهاها ، فليس ذلك على العلم بعزيز . . . ولكن هل  
يتفق وروح العلم أن نلجأ إلى دليل غير موجود ؟ أم أنه أحجى  
وأقرب إلى الصواب أن نعال الظواهر بالأدلة التي بين أيدينا ،  
حتى ولو تعارض ذلك مع آرائنا ؟ لماذا يمنع أن نفرض أن هنالك  
قوى غير مادية تفعل فعلها وتؤثر في مجرى الطبيعة فتنتج كل هذه  
الخوارق والمعجزات ؟

ولكن اللادين يركبون رؤوسهم ويحاولون أنت يطلوا -  
بقوانين العلم كل شيء ، فإن عجرت أسهلونا إلى المستقبل القريب  
أو البعيد . والعجب أن لهؤلاء اللادين « شطحات » في التفكير  
تدعو إلى التأمل ، فأنت إذا سألتهم مثلاً كيف نشأت هذه  
الخلائق ؟ أجابوك : تسلسلت نوعاً عن نوع وجنساً عن جنس ،  
وأصلها كلها خلية واحدة . . . حسن ! وكيف نشأت هذه الخلية  
الواحدة ؟ إنها تولدت بطريقة تلقائية آلية من الجماد ، فانظر  
اليهم كيف تجبزل لهم عقولكم صدق هذا التبا مع أنه على فرض أنه  
صحيح فقد حدث في ماض بعيد سحيق ، ولم يشهده شاهد  
ولا سجله مسجل ، ولكنهم مع ذلك يقبلونه واضحين مختارين ؟  
ثم إذا عرضنا عليهم خارقة من خوارق الطبيعة مما يقع على مرأى  
منا وسمع ، أنكروها في حق مع أنها حاضرة بين أيديهم  
وليست بالماضي البعيد ، وهي مشاهدة ومسجلة فكانت أجدر  
بالتسليم والقول من تلك « الخارقة » البعيدة - ونسبها  
خارقة لأنه ليس من قوانين الطبيعة فيما نظن انبعاث الحياة من  
الجماد ! ولكن القوم يختارون من الآراء والمقائد ما يتفق مع  
مذهبهم ، كما يتخير النساء أزياءهن لكي تلائم ألوانهن وأجسامهن

## ٢ - منازل الفضل

دار على مبارك باشا

للأستاذ محمد محمود جلال

من الأسماء ما يخف على سمك الجرد تركيه ووقع نغمه في  
الأذن ، ومنها ما يعجبك لمعنى يشير اليه ؛ وقد يعجبك الاسم  
وقد خلا من هذين إعجاباً بشخصية قدّرت في التاريخ دورها ؛  
وقد يكون من بين الأسماء ما ينفر منه السمع ، وهو مع ذلك  
حيب إلى نفسك لذكرى تتصل به أو جيل أردفته بالرفق  
ويقص التشيعون للصلاقة بين الاسم والسعي من علماء  
اللغة أن أحدهم سأل اعرابياً عن معنى « أذغغ » فقل الاعرابي  
وهو لا يعرف من الفارسية شيئاً : « أرى فيه يساً وصلابة ،  
ولله الحجر »

وليس للطفولة أن تسمو إلى شيء من ذلك البحث أو ذلك  
القياس ، وإعما يبقى فيها الاحساس المعرفة ، فما نظرت إلى  
شيء من ذلك يوم كان « شارع على مبارك باشا بالحلمية » أحب  
الشوارع إلى سنة ١٩٠٨ ، فكنت أخصه بروحاني وغدواني ،  
وأختص « اليانطة » أول سيرى به بتجربة قدرتي على قراءة البفط  
والخط الشيك

سكننا الحلمية بعد أن هجرنا دارنا الأولى بدرب الجماميز حيث  
مأمورية الأوقاف الآن ، على أثر خلاف بيننا وبين ديوان الأوقاف  
على حيازة القطعة المجاورة لتوسيع الدار بطريق البدل ، ولا أجد  
اليوم تعليلاً معقولاً لتفضيلي إلا بالصلة التي توجد بها النشأة ،  
وقد نشأت في الزيف ، ومن أسرة فلاحية ، واسم على وسبارك

السما ويبحثون في النجوم على شرط أن يكون بحسبهم مقصوراً  
على ما هو معروف من النجوم ، فإن ظهر كوكب أو نجم جديد  
أنكروه ورفضوه !!

أردت يا أخى أن تكون حراً في البحث فكملت نفسك  
بالأغلال والقيود فأرفع عن بصرك هذه الفسادة عسى أن يهديك  
الله سواء السبيل  
نك نجيب محمود

هب يا سدي جماعة قد ارتطمت سفينتهم على جزيرة مهجورة  
لا أثر للحياة فيها ، ولكنهم ألفوا على أرضها آثار أقدام ليست  
من آثارهم هم ، فبأذا يطلون هذه الظاهرة إلا أن ألسناً غيرهم  
كأولاً بالجزيرة منذ حين ؟ أظن هذا منطقاً لا صمود فيه ولا  
التواء : لكل أثر مؤثر ، فإن رأينا أثراً ولم نجد بيننا مؤثره أيقنا  
أن هذا للأثر لا بد أن يكون موجوداً في غير مكاننا . وما نحن  
أولاء ننظر قزى أنفسنا فوق هذه الجزيرة المهجورة التي تسح  
بنا في الفضاء ، ثم ننظر فإذا بأثار لا يحصيها المد تفرض علينا  
فرضاً أن أحداً غيرنا قد اتصل بهذه الجزيرة وهو يتصل بها في  
كل حين ليحدث هذه الآثار

ولست أدري ماذا يضرك أن تطل بالمسلم ما يمكن العلم أن  
يماله ، وأن ترجع إلى القوة التي فوق الطبيعة كل ما تصادف من  
خوارق ومعجزات ؟ يقول الماديون إن إدخال « الله » في مجرى  
الطبيعة عجز وقصور عن التليل الصحيح ، يزعمون أن الانسان  
الأول كان يفسر كل شيء بقوة الآلهة لقلة محموله من العلم ،  
فكان إذا اكتسب شيئاً من العلم يعلل به ظاهرة ما ، أمسك  
هذه الظاهرة من دائرة نفوذ الله وأدخلها تحت سيطرة العلم ؛  
وهكذا أخذ العلم ينمو ويتسع كما أخذت العقيدة في تأييد الله على  
سير الطبيعة تصول وتضيق ، وهم يرجون أن يطرد نمو العلم حتى  
يشمل الكون جميعاً ويفسر « الظواهر » كلها غير استثناء ؛  
وهم بناء على ذلك يرفضون رفضاً قاطعاً أن يعللوا شيئاً إلا على  
أساس واحد : هو قانون الطبيعة ويلفظون من حظيرتهم كل من  
يحاول أن ينسب شيئاً إلى قوة أخرى غير قوة الطبيعة وقانونها ؛  
وقديماً كان العالم أو إن شئت فقل الكاهن يفسر كل شيء بقوة  
الآلهة وحدها ، وينبذ كل من يحاول أن يفسر شيئاً على غير هذا  
الأساس ؛ فهل ترى فرقاً بين الكاهن القديم والعالم الحديث ؟  
كلا ، فكلاهما متعصب بمحدود الفكر ، ضيق النظر ، ولعمري  
إن العالم المادي الحديث لم يزد على أن ارتدى رداء سلفه الكاهن  
مقلوباً ظهراً لبطن ؛

لعله أقرب لروح العلم الصحيح أن تتناول الأبحاث أحراراً  
من كل قيد ، فلا تفرض لأنفسنا أساساً معيناً للبحث لا نعدوه ،  
أعني أنه لا ينبغي أن نحتم على أنفسنا أن تفسر كل شيء بكذا أو  
بكنا ؛ وإلا كنا كعلماء الفلك الأقدمين الذين كانوا ينظرون في

كثيرا الشيوع في الفلاحين ، فلم يكن عجيباً أن يكون هذا الاسم أقرب إلى النفس وأسهل في الحفظ من أسماء نمر أن نسمع بها « كسنجر الخازن » و « الأمير يوسف » وغيرها  
أجل لم يكن بذلك الشارع بالتح (سوداني) ولا شوكولاته ، ولم تكن حوائث الساندويتش انتشرت بعد ، حتى أرد التفضيل إلى تلك المقررات في سن الطالب

وفي عام ١٩١١ أهدتني الجمعية الخيرية الإسلامية مجموعة ثمينة من الكتب لنجاحي من الفرقة الثالثة في الشهادة الابتدائية ، كان من توفيق الله أن ضمت بين دفتيها « تاريخ علي مبارك باشا » وإن أنسى ما حيت غبطى بهذا الكتاب ، وذكرت على التو شارع علي مبارك باشا ، وقلت : إذن فهذا رجل له في تاريخ البلاد شأن !

عكفت على القراءة مبتدئاً به ، وحقق قاي - بن وقت في أوله على نشأة « علي مبارك » فصدق ظني ، فهو فلاح وابن فلاح مثلي ، فلم أترك الكتاب حتى جثت على آخره ، وأعدت قراءته مرات حتى كدت أحفظه من ظهر قلب إذ ملئت إعجاباً بالرجل سميت المرحوم محمد شريف باشا حين كتبت عنه « رجل البرنامج » ، وليس اليوم أحق بأن يسمى « رجل الواجب » من المرحوم علي مبارك باشا

رأى صديق المرحوم محمد بك رمضان القاضي السابق بالمحاكم الأهلية حين زار (فيتا) عقب الحرب أحد ضحاياها « جول » زحف وقد بقيت له ساق واحدة وذراع واحدة ، ويده الوحيدة مكنسة ينظف بها الرصيف ، فسأله عن قصته

قال جان : إنه كان يعمل في التحاليل الكيميائية ، ويؤدي بذلك واجبه نحو بلاده وأسرته ، وانخرط في سلك الجندية يؤدي واجبه نحو بلاده وأسرته ، فلما فقد ساقه وجد مجال الواجب في عتابر الجيش يلف ويرتب يديه ، ولما فقد إحدى اليدين وكانت الحرب في نهايتها اشتغل كناساً ، فهو بعد لا يستريح ضميره أن يكون من الماطلين ، ومن بين اخوانه من هو أحق منه بالاعانة والاعاشة ، وليس أحب إلى نفسه من أن يقوم بالواجب ويمش من أداء الواجب ، فليس فرق عنده بين للعمل والصقوف ، ولا بين العتابر وكس الرصيف !!

حيث صديق عليه رحمة الله ، وكتب عنه مقالاً كاملاً يذبح نبل نفسه ويضربه مثلاً لقومه وكذلك كان علي مبارك باشا ، فهو من نواخ البحوث العلمية في أول البحوث ، وهو المبرز بين أفراد بمشته ، وبلاده في حاجة إلى أمثاله ، وفي حاجة أشد الحاجة إليه ؛ ولكن لا زهو ولا صلف ولا استكانة ! فالحاجة إليه يراها نعمة الله تستوجب الشكر ، والعلم الذي يقدره الناس فيه يراه الثروة التي زكاتها البذل منها في خير البلاد

ومن لم يجمّل فضله بتواضع يبين فضله عنه ويعطل من الفخر كان علي مبارك باشا (ماظراً) وزيراً للأشغال يسيطر على أكبر الإدارات صلة بحياة البلاد ومرافقها ، يضع الخط وينظم حفر الترع والجسور التي طالما أحييت مواتاً ودرت أخلاق الرزق على الملايين وتركت اليباب مزارع وحولاً ، في أول عهد البلاد بزراعة منظمة ودرى منظم

وبينا هو غارق فيما تسمه اليوم أهبة المنصب ، ينقل لسبب أو لغير سبب ، لنفسه أو لتقدير موهبة منتدباً لاصلاح طابية وهو من خرمجي المهاد الحربية ، فينتقل قريالين وكان العالم صوراً فاحصر في تلك الطابية لا يرى أمامه إلا أن يمدّها كما يجب أن تمد تقديرًا لأمانة العلم وقياماً بالواجب

ولى علي مبارك باشا في وقت ما وزارتين ، وجرى به وقتاً آخر يشرف على مد خط حديدي ليس أكثر من كبير مهتدين ، جاءت خطته وأوضاعه وتنفيذ مشروعه آيلت في حزن الوضع والتنفيذ ؛ ولم يكن علي مبارك باشا ذو وزارتين غير علي مبارك صاحب عيشة الخيام في براري البلاد بوطد أركان الدفاع عنها ، ولا غير ذلك الرجل الهادي رجل الواجب ، يضع من قطع الحديد وصلاً لبلاد الريف وقراء وتقريباً للشقة وتيسيراً لأموال الخلق ، فهو إنما يعيش لبلاده ، وإنما يخدم بلاده ، وإنما يخدمها حيث يوضع ، ويستثمر كفاءته في أي مجال . طريقته واحدة ونظرة واحدة ، وهدفه واحد : الواجب

وإنك ترى اليوم من شبابنا من ينقل من وظيفة إلى أخرى دون أن يحس راتبه ودون أن يحس درجته ، فهو لا يكتفي بالشكوى والضجيج والالاحاح حتى يسمح عمله الجديد بآثار غضبه ويأسه

ولا يمين إلا بخيال واحد وأمل واحد : أن يتغير العهد ويمود له ما كان فيه ، بينما يقاسى المحكومون ممن تتصل أحوالهم بعمله ألواناً من البطء في شؤونهم وكثيراً من عنت لا ذنب لهم فيه هذه الظاهرة وحدها من سيرة « على مبارك باشا » درس قيم في الأخلاق وتراث زاخر ، وموعظة لهذا الجيل بالغة

\*\*\*

أما عمله في وزارة المعارف ففي كل دكن من أركان التهذيب والتنشيف له أثر عميق ، كان لا يني عن زيارة المدارس زيارة لا يسبقها إعلان ولا شيء من جلبة الرسمية ، ولو خلت من هذا وحده لكانت بذلك كافية في معنى الرقابة وما يتصل بالحرص على الواجب من الوقوف على درجة التقدم وعيوب التنظيم لكنها لم تغف عند ذلك الحد ، فكان عليه رحمة الله يسأل أكثر من طالب في كل فرقة وفي أي مادة يتفق تدريسها مع ساعة الزيادة ، وطالما كان له جولات في مختلف العلوم مع من يزورونه من الطلبة في الديوان سواء لرفع شكاة أو تبيان مصاحبة هكذا كان على مبارك باشا . فانظر إذن وتخيل ما تكون عليه دار أسعدها الله بسكنى رجل الواجب

كان عهده نادر المفاهيم والسواصر والملاهي ؛ وكانت الدور العامرة سواء في المواسم أو في الريف تقوم بدورها في صيانة الأخلاق وتكوين الجيل ، والملاء وقت ذاك قليل ، وعلى مبارك بين القليل درة لامة

دار كانت بالوافدين والسمعين إلى العلم أكثر ازدحاماً مما ترى اليوم في جامعة أو في سينا ، لكل فريق دور ، والأدوار متفردة تنتهي بآخر السهرة من الليل لاختلاف أوقات الفضاء لصاحب النار أو للوافدين

دار طالما عمرت بصالح الحديث وبسدت بنازلها عن القفو ، فصفوة الملاء يبحثون ويباحثون ، وللأدياء فيها نصيب كبير ، وللطلاب النصيب الأوفر

ترى الدار مكتبة جامعة ، نصيب الرجل منها كنصيب أي واحد من قاصديه ، وعليه هو القوام على تنسيقها وحفظها ، بل عليه أن يختار لكل ما يلائمه ، يذلل من الكتب والمراجع كما يفيض من محفوظه وتجاريه ؛ وهل يستطيع على مبارك إلا أن يكون واحداً في كل تصرفاته وفي روحاته وغدواته يفوده

الواجب ، وسيرة التماس النفع للبلاد ؟

ولقد أعلم أن المرحوم « مصطفى كامل باشا » الذي ما زالت البلاد تتمتع في ظل ما خلف إلى اليوم ما أحسن المحسن وما أساء السيء ، كان في شطر كبير من تكوينه العلمي أكبر حسنات تلك الدار ، كما كان صاحب الدار أكثر الناس إعزازاً للنجباء من أبناء البلاد ، فمن ترح إلى أوروبا يكمل تعلمه ، لا يني في البحث عنه في المطلة الصيفية وفي عودته إلى الوطن ، ولا تلبث الحلقات أن تعقد من أولئك الأنجباء في تلك الدار التي ازدهرت وقتاً ما فازدهرت بها حديقة الرقان وكلت جبين البلاد

كانت مهمة الدار في أفق العلم مهمة الجامعات ، فهي سيطرة رفيعة على تنظيم الثقافة وتوزيعها على قدر المختلفين إليها ، وكانت فيما عسى الذين أكلوا دراستهم واسطة المقد ، وبوسيلة التعارف وأداة الوصل ، كما كانت للنازحين في طلب العلم مراداً إلى غوارف الوطن ، وجميل المدرسة الأولى ، وخير مقرب بين الثقافتين ، وخير قوام على تطبيق المعلومات وتهذيبها وسبغها بما يناسب صبغة البلاد أين تلك الدار ؟ وأين كعبة العلم ؟ ذهبت بها تصاريص الزمان وعفاها ما يشبه الجحود منا حكومة وشعباً ، ومثلها مثل قصر أم الحسين في حي الدويارة ، قامت أحجاره يستخر منها « قصر العار » وخلا من كل شيء إلا من نسيج المنكيوت

بل إن للعلم عند الله كرامة ؛ فلئن ذهبت رسوم الدار بين الرياح من جنوب وشمال فقد أكرم الله نازلها وطامرها بهذا المعفاء ، فلملها لو عاشت لظهرت غريبة ولازدي بها انضراف مؤلم عنها وثبات من دور قامت على الإساءة للبلاد والسخرية مما ينفع الناس يبحث إخواننا من أهل العراق عن « المثنى » وقيمون باسمه نادياً ، فهلا نسمع من شباب الجامعة عزماً على البحث عن مكان الدار وتسمية ناديهم باسم « على مبارك »

إذا كان هذا عزيزاً على أنواء الزمن فهل نسمع في القريب أنهم زيتوا إحدى غرف النادى أو قاعات البحث بالجامعة باسم الراحل الكريم ؟

أيها الناس أكرموا السلف بكرمكم الخلف ، فكما يدين الفتى

يدان

محمد محمود مهدي  
الحلبي

الشيخ عطا

## فجور القانون للأستاذ جمال الزرقاني

أعجبت أشد الإعجاب بسلسلة مقالات «الجمال اليائس» للأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي وتبعتها بمجلة (الرسالة) القراء؛ وأعجبت منها خاصة بتصويره للقانون في مقاله الأخير ورميه بالفجور وقوله على لسان الأستاذ «ح»: «الحقيقة التي لا مرء فيها أن فكرة الفجور فكرة قانونية، ومادام القانون هو الذي أباحها بشروط، فهو هو الذي قرردها في المجتمع بهذه الشروط». وهذه فكرة كانت ظاهرة خافية معاً؛ فهي في القانون ولم ينتبه لها أحد ولا من رجال القانون. وقد سار من حق (الرسالة) وقراءها على أن أكشف هذا المني كشفه القانوني ليصرف القراء كيف تُغرس الفجور غرساً في قوانيننا المصرية لا مشاحة في أن قانون العقوبات قد اهتم لمقاب الجريمة بدد وقوعها أكثر من اهتمامه بالاحتياط لها والعمل على منعها قبل حدوثها؛ فمهمته في الواقع لم تخرج عن بيان الأفعال التي يعتبرها الشرع جرائم ومقدار الجزاء على كل منها، فهو يتضمن القواعد الموضوعية Règles de fonds للقانون؛ بينما اهتم قانون تحقيق الجنايات «بالنظم والاجراءات» التي يجب أن تراعى لتنفيذ قانون العقوبات، أي لمعرفة الجاني إذا ما وقعت الجريمة، فهو يتضمن القواعد الشكلية Règles de forme، فكل القانونين اهما كما قال الأستاذ الرافعي «حالة الجريمة لا للجريمة نفسها» وتركاً مسألة الجريمة وبلا احتياط لمنعها قبل حدوثها للقوانين البوليسية وللعقوبات الأدبية، وبهذا أضافاً لخطأ آخر إذ أغفلا مسألة واقعة وهي أن العقوبة الأدبية قد أضمتها عوامل المدنية الحاضرة ولم يبق في أكثر النفوس إلا سلطان القانون وحدوده.

والسبب في تقصير القوانين الجنائية هذا التقصير الناضح وخاصة في بلاد إسلامية تتخلق بأخلاق الفضيلة، هو أجنبية هذه القوانين فانها فرنسية الأصل، فرنسية الوضع، فرنسية التطبيق، فرنسية المرحع، فمن ثم لا يؤدي إلا ما تؤدي القوانين الفرنسية في بلادها. أما حالات الشرق الخاصة وتقويم تقاليد

وأخلاقه، فهي عمياء عنه أو تخبط في عمياء؛ ومن البلاء أن نقل هذه القوانين كان من عمل منشورين أجنبين بيدين عن المحيط القوي فنقلوا نقلاً مموخاً أضاع كل قائمة تربي وخاصة في صميم المسائل الأخلاقية الشرقية. بل إن القانون وقف من هذه الأخلاق موقف الجامد النافل أو المشجع المستهتر بالأباحة

ولو أنا عرضنا قانون العقوبات ووضعنا بعض المواد الصماء تحت نظر الفاحص لو شئت فكرتنا، فمن المروف قانوناً أن حرية النيابة في «تحريك» الدعوى العمومية وفي استعمالها ليست مطلقة كل الاطلاق، فهناك أحوال تحد من تلك الحرية، ومنها ما يستوجب الاذن من صاحب الشأن كالحال في دعوى الزنا.

والزنا في القانون يختلف عنه في الآلة وفي الشريعة، وبهذا اقتصر القانون على اعتباره كذلك إذا وقع من الزوج أو الزوجة وشريكهما، وأحاطه بشروط خاصة ضيقة اشترط فيها قيام الزوجية فعلاً أو حكماً. فالعمل الواقع من الزوج أو الزوجة أثناء الخطبة أو بعد الطلاق البائن لا يعتبر جريمة. وكان القانون في نقله ذلك عن المواد ٣٣٦ — ٣٣٩ من قانون العقوبات الفرنسي

قد أغفل الأخلاق الشرقية وتناساها وترك جبل الشيطان على ظربه، بل هو قد شجع على ارتكاب هذا العمل من غير الزوج أو الزوجة بالشروط الخاصة بجريعتيهما، بل أكثر من ذلك أناح الفرصة للزوج أن يفعل فعلته النكراء في غير منزل الزوجية بلا عقوبة. وبذلك ترك الأسرة تتدهور بتدهور طائها ووقف موقفاً غريباً في صدد المساعدة على التدهور الأخلاق، فجبل الحق في دفع دعوى الزنا للزوج وللزوجة وحدهما، فإذا رضى أحدهما عن فعله الآخر وقف القانون مكتوفاً لا يمكنه التحرك لزاء العمل على سقوط الأسر واختلاط الأنساب والقضاء على الأخلاق، بل إنه يقف حائلاً دون الزوج نفسه في «تحريك الدعوى العمومية» إذا ما وقعت منه عين الطلاق وهو في جنون غيظه من جريمة زوجته، وبذلك تنق الزوجة وشريكها صولة القانون ويكون الطلاق كأنه عما الجريمة قانوناً مع أنه لم يقع إلا بها

ولا دلالة على نقل القانون المصري نقلاً جامداً عن القانون الفرنسي أكثر من وقوفه بالمادة ٢٠١ عقوبات في جانب الزوج الذي يقتل زوجته في حالة التلبس بالجريمة، مستهتراً ذلك ظرفاً قانونياً مخففاً يعاقب فيه بالحبس فقط، ثم يأتي ذلك على الأب



لما يترتب عليها من الضرر للأفراد أو للمصلحة العامة . ولكن الرد على هذا سهل يسير وهو : أنه مامن جريمة أخلاقية إلا أصاب الغير ضررها بالذات أو بالواسطة جالاً أو مستقبلاً ، وذلك بانتشار الرذيلة الذي يتبعه تأثر الوسط وقعدانه حيويته ؛ والذي يتبعه حتماً كنتيجة مباشرة انهيار البيئة الاجتماعية وتفتشي الأمراض الخبيثة بينها وازدياد الأدواء المختلفة الجسمانية والأخلاقية ،

وبذا تتأثر المصلحة العامة ؛ فلا حجة في تلك الحجة ومع ذلك فإن كثيراً من القوانين الحديثة لا تزال تحرم الرذيلة لذاتها ، والقوانين الانكليزية والألمانية والنسوية والمجرية تعاقب على اللواط ولو وقع بالرضا ، كما تعاقب أيضاً على اتخاذ القيادة حرفة ومرزقاً ؛ والقانون السويسري يعاقب على البناء وهذه هي قوانين الدول المسيحية ؛ أما الدول الاسلامية فإن قوانينها ولا كُفران لله قوانين واسنة سمحة . فبالتحكومات الاسلامية تعمل بهذه الطريقة المكسبة فتضع للشيطان قانوناً على الضد من طبعه ، وبذلك ينجي قانون الشيطان مصلحاً لقانون الانسان . . . . .

جمال الزرقاني

ليسانيه في القانون

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

## تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ

أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً — الثمن ٢٠ قرشاً ما عدا أجرة البريد

والأخ الذين يمتد إليهما طار الجريمة أكثر من الزوج ، فزوج يتخلص منه بالطلاق ، أما ما قاله قد لخص بهما . وهذه القاعدة الفرنسية كانت معقولة في فرنسا في وقت وضع قانون العقوبات الفرنسي إذ كان الطلاق وفقاً للمذهب الكاثوليكي غير جائز ، وإذا كانت الجريمة من ذلك لاصقة بالزوج أكثر من التصاقها بأسرة الزوجة

ومن التخريجات الغريبة والتطبيقات التي تنشأ عن القانون الجنائي المصري في هذا الصدد ، حالة ما إذا قاجأ الزوج زوجته وشريكها ، فحاول قتلها فقتلته الزوجة أو شريكها ، فلا عقوبة على فعلهما لا اعتبار ذلك دفاعاً شرعياً عن النفس ؛ ثم إنه بعد ذلك لا عقوبة على جريمة الزنا التي اقترافها إذ قد بات الزوج صاحب الحق في الدعوى ضدّها . ولو حدث أن قتل الزوج زوجته سقط بذلك حقه في الدعوى ضد شريكها ، لأن حفظ الشريك مرتبط بحفظ الزوجة الزانية فيستفيد مما كان يفيدها . وقد ماتت فالشريك يعتبر بريئاً إذ لا عقوبة عليه إلا إذا حكم على الزوجة ، وهذا غير متيسر لموتها

وكذلك القانون لا يعاقب على جريمة الفسق ولا على تلك الجريمة النكراء الشنماء : جريمة اللواط متى توفر الرضا إذا كان سن الفتى أو الفتاة أكثر من ست عشرة سنة . فكان القانون يشجع ذلك بعدم وضع الحظر عليه ، بل أكثر من هذا فإنه يقف موقفاً غريباً بالنسبة للقاصر إذا جاوز السادسة عشرة فإنه يسمح له أن يجني ويبني الجنابة عليه . . . . . بلا قيد ، بينما لا يسمح له الزواج أو التصرفات المدنية إلا برضا وليه أو وصيه حسب الظروف ، وهذه مسألة من الخطورة بمكان عظيم إذ تترك الشبيبة الناشئة تتلاعب بها الأيدي والأغراض ، وتجرحها للفساد إلى غير مستقر بدون رقيب عليها ، وهي عدة المستقبل وآمال الأمة . فإذا كانت هذه الشبيبة على ما يحوطها من الفساد ويفر بها لا يحميها القانون فيأبى سوء المستقبل ، وبإضياع الآمال . ومن الواجب الحكم أن يتنبه المشرع إلى هذا النقص التشريعي فيسارع إلى علاجه قبل استفحاله . كيلا يتهم بالسماحية على التدهور الخاطئ وعلى إفساد الأمة في أساسها الحى الذي هو الفتى والفتاة . هذا بعض من كل من الأمثلة الدالة على جبر القانون والمشجعة لضروب التفكير — قد يقال إن روح القوانين الحديثة أن تنبذ نحو الحرص على عدم التعرض بالعقاب للجرائم الأخلاقية إلا في حدود معينة ، فلم يعاقب على الرذائل والآثام لذاتها ؛ بل

من أيام سورية التاريخية

## ذكرى ٢٤ يوليو!

للأستاذين علي الطنطاوي وسليم الزركلي

قال الملك فيصل رحمه الله :

«... وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى في ميلون حتى رفاق في معارك فلسطين ؛ وإن لأحق رأسي احتراماً لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل اعتلاء لم يعرف له التاريخ مثيلاً...»  
[ جريدة الأيام المنشقة العدد ٨٦٣ من هذا العام ]

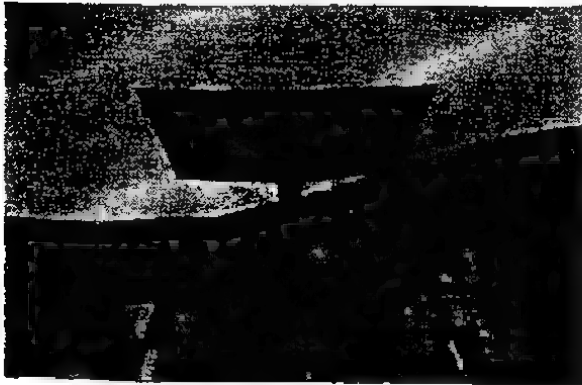
أخرج من دمشق ، وخلف وراءك الجسرَ وفيكتوريا ، وهذه البسفينة ذات الطبقتين ، التي كانت منذ خمسة عشر عاماً « النادى العربى » متوى الوطنية ، ومثابة الاخلاص ؛ ودع عن شمالك الرجة الخضراء ، التي وقفها نور الدين على سوائم المسلمين ، فرعاها نمر من الأقوياء الحاكمين ، وطأوا فيها آمنين مطمئين ؛ وجُزْ بالزفة وقلاعها ، لا تلتفت إليها ، ولا تأبأ بها ، واستقبل الربوة لا تحفل بقرارها ومعيها ، ولا تبعجب لأنهارها السبعة ، وقد امتدت بين عدوتى الوادى بعضها فوق بعض ، كمنقود اللؤلؤ في جيد الحسنة ، وتناس ما قال فيها باقوت وقد طوى أنحاء الدنيا ، وجاب أرجاء الأرض ، ثم رجع فلم يجد في الدنيا أثره منها ؛ وعد عن التيرب لا تذكر عهده ، ولا تبك أيامه ، فقد ذهب التيرب ، وغبرت أيامه ، وفارقه وأشد قول ابن حمدان :

سقى الله أرض الفوطيين وأهلها فلي بجنوب الفوطيين شجون وماذقت طعم الماء إلا استخفني إلى بردى والتيربين حين وقد كان شكى الفراقى برومنى فكيف أكون اليوم وهويقين فوالله ما فارقتم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون واسلك على وادى الشاذروان ، ولا يقفك عن غائبك أنه وادر من أودية الجنة ، هبط إلى الأرض لئلا ذكر فيه النفس أيام الجنة الأولى ، فتطير إلى مثلها بأجنحة من نشوة الذكرى ، ولا يثتك عن وجهتك هذان الجبلان التماثقان ، كأنهما عاشقان قد لبسا من النجوم الزهرة ، والأشجار المثمرة ، حلة أبهى من

السندس ، ولا « زيد » الذى يجرى في صلب الجبل يزخر بالمياه ، فيطغى بها ، فتهبط الصخر من علو مائة ذراع متكسرة مزبدة ، كأنما هي ذوب اللجين ، حتى تعود إلى أبيها بردى ، وهو يجرى في بطن الوادى جياشاً ثائراً ؛ واستقبل دُمر لا تقف بجناها ورياضها ، ولا تفتنك قصورها ودورها ، ولا يسبك هذا القصر العجيب ، ذو المارج اللتوية ، والألوان والنقوش ، والبرك والنوافير : قصر الأمير سعيد ، ولا قصر شمالياً تجرى من تحته الأنهار !

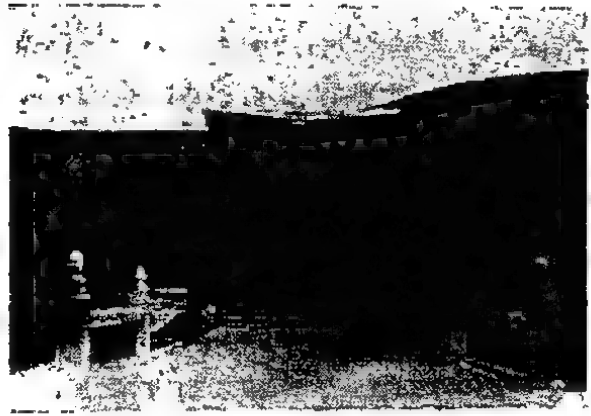
ودع عن يمينك مممل الأسمت الفخم ، الذى قام دليلاً على أن الشرق يستطيع أن يعمل ، ويقدر أن يبنى . وصركياته التي أبت أن تمشى على الأرض ، فسارت متعلقة بأسلاك في الهواء .. واثت الهامة فدعها عن يمينك لا تنزل إلى السهل ، ولا تفتنك أنهاره وبهجته ، ولا تجذبك فسحته وخضرته ، وامش واضعاً « قادسية » عن شمالك ، ثم « در » دورة فاخرج من الوادى ، وامش صُعداً حتى تدع الوادى من ورائك ، وتستقبل الصحراء الخالية القاحلة ، فإذا أبحرت فدع الدبعاس وحدائقه وامش قدماً حتى ترى هذه الهضاب المتسلسلة ، والآكام المتتالية ، قاعها .. حتى إذا بلغت ذراها ، ولحت في عرض البادية ، في حضن الجبل ، بناءً غريباً كأن سقفه جناح طيارة ؛ ورأيت من أمامه سلسل ماء ، فاهبط إليه ، ثم قف خاشعاً متعجباً ، فأنت في ميلون ، وأنت حيال قبر يوسف العظمة ...

على الطنطاوي



قبر شهيد ميلون : يوسف بك العظمة  
وزير الحربية في الحكومة العربية

هل يرجع الفاتحان : الأسد الزائر  
 للعرش والطيلان والفاتح الظافر  
 جاست ديارى المداء والدمر يفتينا  
 وعث فينا الطغاة ذلاً وتهوينا  
 لم نصف بسند الحياه حتى تمادينا  
 آن أوان الطمان فليهنس العائر  
 لا يبلغ المجد وان عن فيله قاصر  
 فاستصرخي يا قبور غنائم الأبرار  
 ولتخطمن الدهور سواعق الأحرار  
 لا عاش من لا يثور ويستنبح المار  
 إنا فدى الأوطان من غاسب جائر  
 لا عيش للأنسان في موطن صاغر  
 سليم الزركلي



قبر شهيد ميلون : يوسف بك الخطبة

قف عند هذا الضريح واهتف بسكانه  
 هل حل فيكم جريح من أجل أوطانه  
 أهوى بكم يترج من برج أحزانه  
 بنى عليه الزمان والفاسم النادر  
 فراح يني الأمان في القللك الدائر

أسمته هوج المخلوب فقجرت دمه  
 ومرهقات الكروب فأوقرت سمه  
 ولم تدمه الجروب فكسرت ضلله  
 بكى له النيران والكوكب الساهر  
 فأين هذا الهوان من مجده النابر

الملك رهن الضياع إن غبل في مهده  
 والسيف ما إن يطاع مادام في غمده  
 واحسرتا للشجاع يكي على مجده  
 الثنل والخوان والختل الماكر  
 يفوز بالجنان (١) ويطرده الثائر

تبكي ميوت السماء على أمانينا  
 وفي مجارى السماء خاضت مواضينا  
 ما زال رهن الفناء شتى مرامينا

(١) كنا في الأصل ، والشر مكمور (الرسالة)

## لجنة التأليف والترجمة والنشر

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب :

## المختار

للمؤلف عبد العزيز البصري

وهذا الجزء ينتظم ثلاثة أبواب :

أبواب الأول باب الأدب ، والثاني باب الوصف ،  
 والثالث باب التراجم

وقد طبع طبعاً أنيقاً مضبوطاً كثير من لفظه  
 بالشكل مفسراً ما يقع فيه من غريب وذلك على ورق  
 صقيل - وحلى فوق هذا بصور فاخرة ، وغلف بغلاف  
 بديع ثمين - وتضمن هذا الجزء خمسة عشر قرشاً مائناً  
 عند أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرواسي نمرة ٩  
 ومن المكاتب الشهيرة

## ٢ - معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

وفيما يلي وصف الأرض العام في بلاد الحبشة : في الساحل أرض سهلة رملية ، والرطوبة فيها تبلغ درجة عالية في موسم الأمطار ، وحرها لا يطاق ألبتة ؛ وكلما تقدمنا من الساحل إلى الداخل ارتفعت الأرض واختلفت تربتها وتنوع شكلها ، فتكون ترابية وحصوية فصخرية فكلحية وهلم جرا ، وتأخذ في التلويج ، وهذا التلويج يحمل الأرض في بعض المحلات جبلية ذات غابات وأدغال ، وكلما زاد الارتفاع كثرت الوديان الضيقة المكسوة بالنبات والأحراج الكثيفة . والانحدار في حافات الجبال شديد يحول دون تسلقها ؛ والطرق فيها مسالك ضيقة تسلكها الدواب بصعوبة . وإذا ما دخلنا الهضاب اشتدت الوعورة ، وازدادت الناعة . فالجبال تملو في انحدار شديد ، ويسيطر بعضها على البعض الآخر ، وتكثر فيها الكامن والمضائق والفجوات والوهاد

وقد شق الطليان طريقاً في مستمرتهم اريترة يربط الميناء « مصوع » بالماصمة « أسمرة » ؛ وقد أنفقوا على شقه مبالغ طائلة من جراء انحدار الأرض وكثرة الوديان فيها ؛ وكذلك السكة الحديدية التي تربط « مصوع » ب« أسمرة » قلها تعتبر من أرق ما بلته الفن الهندسي في مد السكك الحديدية ، لأن السكة تنسلق الجبال ملتفة حولها عابرة على عدة جسور وملتوية الالتواء كله وتستطيع القوات القادمة من الساحل بفضل وسائلها التجهيز والتخوين السير في الأرض السهلة والأرض المتموجة ، وإذا ما وصلت إلى السفوح الغربية بتوقف السير لناعة الأرض وصعوبة سير العجلات والدواب فيها . ومع ذلك نجد أن فقدان المياه في الأرض السهلة والمتموجة مما يحول دون تسيير قوات كبيرة فيها

الأمطار والبحيرات

والحقيقة أن بلاد الحبشة مدينة لنزارة الأمطار التي تنزل

فيها ، فهذه الأمطار تسقي بلاد الحبشة فتدبر بركاها على البلاد المجاورة لها ، وتنزل الأمطار في بلاد الحبشة مرتين في السنة ، صيفاً وشتاء ؛ والصيف موسم الأمطار الطويل ، فتبدأ الأمطار في هذا الموسم في أوائل أيار إلى نهاية أيلول ، وتقع غالباً بعد الظهر ، وتنزل بغزارة ، وتقلب الأرض السهلة والمتموجة إلى بحيرات وسيول في مدة قصيرة ، وتجري هذه المياه بسرعة في الوديان الجافة إلى البحر ، وبعض الماء تبتلعه الأرض

وأما موسم الأمطار في الشتاء فهو شهر كانون الثاني وشباط ، والطر فيه قليل . وأجل الأنهار شأناً في بلاد الحبشة هي تلك التي تنبع من السفوح الغربية في المنطقة الجبلية الداخلية وتصب في نهر النيل

فمن « صوبا » مثلاً يتكون من فرعين ، ويجري في الجهة الجنوبية الغربية ؛ ونهر « اباي » ينبع من بحيرة « تانا » وهو يؤلف القسم الأعلى من نهر النيل الأزرق

وفي الشمال نهر « عطبرة » وهو يتألف من نابين : نابع ( مارب ) في الشمال ، ونابع ( نكازة ) في الجنوب ، وبعد أن يسقي مقاطعة « تيجري » يجري شمالاً ويصب في نهر النيل في عطبرة شمال الخرطوم

ونهرى اباي وعطبرة تأثير شديد في اقتصاديات السودان ؛ فالأمطار السيفية تملأ أحواض هذين النهرين ، فهيفضان بها ويسقيان مزارع السودان الصيفية ويتركان الرسوب الغرينية في المزارع

وبحيرة « تانا » التي تمثل دوراً خطيراً في تاريخ الحبشة من حيث تأثيرها في مياه النيل تملو عن البحر ١٧٠٠ متر ، وتبلغ مساحتها زهاء ٣٠٠٠ كيلومتر ، وتحيط بها الجبال من كل جانب وفي الجنوب وديان كثيرة تأتي من حافات الجبال ، وأهمها نهر وادي « جبة » وهو الذي ينبع من الحافات الجنوبية للمنطقة الجبلية الداخلية ويجري في الأرض المتموجة والسهلة وتبدأ الوديان من حافات الجبال الشرقية ، وتمتد إلى السهول ، وإذا ما نزلت الأمطار جرت فيها المياه

ومن المياه ما تتكون منه البحيرات الجنوبية في أرض الحبشة ؛ وهذه البحيرات واقعة على طوار الخط الممتد من الشمال

(ب) مقاطعة «أعرج» ، وهي واقعة إلى جنوبي مقاطعة  
تيجرى ومتاخمة للسودان  
(ج) مقاطعة «غوجام» ، واقعة إلى جنوبي مقاطعة أعرج  
(د) مقاطعة «شوعا» ، وهي من أخطر المقاطعات وفيها  
عاصمة الدولة «أديس أبابا»  
(هـ) مقاطعة «كانا» ، وهي واقعة إلى الجنوب ومتاخمة  
للسودان ولستعمرة أوغاندا البريطانية وفيها يزرع البن  
(و) مقاطعة «أوجادن» ، وهي واقعة إلى الجنوب الشرقى  
ومتاخمة للصومال الطلياني  
نبذة منه التاريخ

يزعم العلماء الضليعون في معرفة الأجناس والشعوب أن  
الأحباش هاجروا من جزيرة العرب إلى إفريقية عن طريق اليمن ،  
ويعملون أثناء اللغة الحبشية إلى اللغات السامية بتلك الهجرة  
والمحقق أن الأحباش احتكوا بالمصريين في قديم الزمان  
واقتبسوا منهم بعض مظاهر الحضارة ؛ ولما امتدت فتوح المصريين  
إلى بلاد النوبة والسودان اشتدت هذه العلاقة . ويؤيد التاريخ  
استيلاء الأحباش على مصر العليا وتأسيسهم أسرة حاكمة هناك .  
ويزعم الأحباش أن الملك منليك الأول هو ابن سليمان من بليس  
ملكة سبأ . وشاعت النصرانية في الحبشة في أوائل القرن الرابع  
بعد الميلاد ودرست فيها بعد ذلك . والمعلوم أن أبرهة قائد القوات  
الحبشية الذي استولى على بلاد اليمن وتقدم نحو الحجاز كان  
نصرانياً . والشائع أن الداعي إلى هجوم الأحباش على اليمن هو  
الانتصار لبني دينهم أهل نجران

وكان الأحباش يدينون بالنصرانية لما هاجر المسلمون إلى  
الحبشة فراراً من الاضطهاد . وشاعت اليهودية في الحبشة في  
عهد هذا الملك . وتجليداً لهذه الذكرى أحدث ملك الحبشة في  
سنة ١٨٧٤ وساماً سماه «وسام خاتم سليمان»

وفي القرن السادس تبع الأحباش الكنيسة المصرية التي  
اعتقدت أن ليسوع (عيسى) طبيعة واحدة ، وانضوى الأحباش  
من ذلك التاريخ بطريرك الاسكندرية

وفي القرن السابع استفاد اليهود القاطنون في الحبشة من  
الانشقاق في العقيدة المسيحية ، وانفقوا مع المارونيين والروثنيين

الشرقي إلى الجنوب الغربي ، وتنتهي في شمال بحيرة «فيكتورية»  
وأخطر هذه البحيرات بحيرة «رودولف» في الجنوب وبحيرة  
«استفاني» في الشمال

### تقسيم الإمبراطورية

والأحباش أنفسهم يقسمون بلاد الحبشة إلى ثلاثة أقسام  
من حيث أوصافها ، وإليك بيانها :

القسم الأول : وهو القسم المنخفض ، ويتفاوت الارتفاع  
فيه من (١٠٠٠ إلى ١٨٠٠) متر ، وهذا القسم حار وتتفاوت  
درجة الحرارة فيه من ٢٠ إلى ٤٠ درجة سنتراد ؛ وفي هذا  
القسم المقاطعات «هرر» و «كانا» و «يديتو» و «سيدامو»  
و «شافكالا» ؛ والحرارة في المحلات المنخفضة ، وفي الوديان  
لا نطاق ؛ والزرع فيه هو الذرة . وفي المحلات المرتفعة من هذا  
القسم يزرع قصب السكر والقطن والزعفران والموز والتمر الهندي  
والبن والتخيل وغير ذلك

القسم الثاني : وهو القسم المتوسط من حيث ارتفاع الأرض  
إذ يتفاوت الملو فيه من (١٨٠٠ إلى ٢٤٠٠) متر . وتختلف  
درجة الحرارة فيه من ١٤ إلى ١٩ سنتراد ، والهواء فيه جيد ،  
والرياح دائم ، وتكثر فيه المياه والنباتات

القسم الثالث : وهو القسم المرتفع وتتفاوت الارتفاع فيه  
من (٢٤٠٠ إلى ٣٤٠٠) متر ، ومتاخمة يشبه مناخ جبال الألب ،  
والشتاء فيه شديد وبرده قارس . وتختلف درجة الحرارة فيه  
من ١٠ إلى ١٢ سنتراد ويحمد الماء في الليل . وبينما نجد القسم  
الأول جهنم الحبشة نرى القسمين الثاني والثالث جنتها

### التقسيمات الإدارية

تنقسم بلاد الحبشة إلى عدة مقاطعات ، ويحكم كل مقاطعة  
رأس ، وهو بمنزلة ملك تلك المقاطعة وله سلطة مطلقة عليها نالها  
ارتكاً بحقوق الاقطاع . وكثيراً ما أطلق تاهل الحبشة على نفسه  
ملك الملوك بعد إخضاعه الرؤوس في المقاطعات وتوحيده المملكة  
وفيها يلي المقاطعات الخطيرة :-

(١) مقاطعة «تيجرى» وهي واقعة في الشمال ومتاخمة  
لأريترة الصومالية والسودان ، وفيها العاصمة المقدسة «أكسوم»

من صحايب الوطنية

## شارلوت كوردای

توماسی طاریل

بقلم الأستاذ حسن عبد الحليم الیمانی

یسی التاريخ مشهدا یدكره وسط النعوض والاضطراب  
الذين لغا مدينة « كان » الفرنسية کافقا العالم بأسره فی طلیمة  
عهد الثورة الکبری : أما مکانه فماحة مجلس « كان » النیابی ،  
وأما أبطاله فرجل وفاء أوشکا أن یفترقا بعد لقاء - هما النائب  
باربارو و شارلوت كوردای ( « دارمان » ) کما كانت أسرتهما تلقب  
قبل الثورة التي ألنت رتب النبیل وألقابه ) كانت فتاة فارعة  
المود فی عامها الخامس والمشرین ، يتلأأ عیایها جالاً ووداعة ؛  
وكانت علی أن ترحل إلى باریس فی أمرها ، ولهذا تقابلت وباربارو  
لحملها توصية وتقدمة إلى صديقه الباريسي النائب دوپريه ذاکرا  
فی خطابه « إنها لجمهوریة المودى من قبل أن ینادی بالثورة  
منادى ، وإنها لم تكن فی حاجة أبدا إلى الحماسة ، ففی قلبها منها  
الكفاية » . « أما الحماسة فی رأیها فعی تلك الماطفة التي تدفع  
بالمرء إلى بذل روحه طائفاً فی سبیل بلاده »

وقبیل ظهر الثلاثاء التاسع من شهر یولیه من العام  
الرابع للثورة ، اتخذت شارلوت مکانها من عربة برید « كان »  
الراحلة إلى باریس مزودة بخطاب باربارو وبقلیل من متاعها  
الخفيف . لم یكن فی وداعها - كسنة السفار - أحد یسمى لها رحلة  
طیبة موفقة ، فهي قد بیئت عزیمتها بینها و بین نفسها تخلفه  
لأبها رقة تنفضی إلیه فیها بأنھا فی طریقهها إلى أنجارتا ، وأنھا  
ترجو أول ما ترجو أن یفترقا فقلتها وأن ینساها إلى الأبد .  
وزحفت عربة البرید بمحملها ، وكأنا لازمها فمأس ملح ، مازال  
یدفع بها وثیدة مهومة حتی بلغت جسر « نیلی » ، وحتى  
لامست عجلاتها تری باریس فی ضمی يوم الخميس ١١ یولیه ، حیث  
شهدت عینا شارلوت مدينتها المنشودة تطالع السحاب بقیابها  
العديدة السوداء . وفی فندق البروفدانس بشارع دی تیو أوجستین

وتطلبوا علی الأحباش فأخرجوهم من مقاطعة أكسوم وحكوا  
البلاد زهاء مائتی سنة . وفی نهاية القرن الثامن قضی ( لالیبا )  
علی حکم اليهود ورجع الأحباش یحکمون بلادهم معتقین المذهب  
الیمتوی

المسلمون واليهباشی

ولم یتوجه العرب فی عهد فتوحهم نحو بلاد الحبشة بل  
اكتفوا بالاستیلاء علی بلاد مصر والسودان فقط ، وذلك علی  
ما تعتقد لمبیین : أولها بعد بلاد الحبشة عن طریق الاستیلاء  
ومناعتها ، وثانیها ذكركم للأحباش بخیر لأنهم آووا المسلمین  
الأولین وآمن بحباشهم برسالة الرسول

وفی القرن الثامن عشر ثارت الحروب بین الأحباش  
والمسلمین الذين أحاطوا ببلاد الحبشة من کل جانب . وقبل  
منتصف القرن الخامس عشر احتك البرتغالیون بالأحباش من  
أجل الحصول علی موانئ ساحلة فی مناصرتهم فی بحر المحيط  
الهندي ، وسعوا لتأسيس علاقات ودية بینهم و بین الأحباش ،  
وعقدوا أول معاهدة فی سنة ١٥١٥ ؛ وكان من نتائج هذه المعاهدة  
أن المسلمین أخذوا یتوغلون فی بلاد الحبشة لمحاربة الأحباش حلفاء  
البرتغالیین ، وكلما انتصر المسلمون علی البرتغالیین فی البحر الأحمر  
وفی خلیج عدن انتقموا من الأحباش الذين ناصروا البرتغالیین  
فی حروبهم

وفی سنة ١٥١٧ تحرك جيش كبير من المسلمین من « زیلع »  
وهجم علی بلاد الحبشة واستولى علی « أكسوم » العاصمة  
القدسة ، و « جوندار » عاصمة الملكة . وبهذا أن مذهب البرتغالیون  
الأحباش بالمدافع وتولى « کریستوفوس دغاما » قيادة الجيش  
الحبشی انكسر المسلمون وانسحبوا

ولما استولى العثمانيون علی مصر اشتدت علاقة الترك  
بالأحباش ، وأخذ سلاطین آل عثمان یساعدون المسلمین فی البحر  
الأحمر علی محاربة البرتغالیین والأحباش ، وكان من نتائج ذلك أن  
استولى العثمانيون علی مصوع وبربرة وهما من موانئ الحبشة ،  
وتوغلوا فی الداخل ، وأخذ المسلمون القاطنون فی السهول یشددون  
الزمام لاهجوم علی بلاد الحبشة ویسمون لنشر الدین الاسلامی فیها  
( یقیم )  
طه الرهاشمی



الباستيل أربعة أعوام كاملة ، ذلك المآل الذى وقف فيه مارا على رأس جوع الشعب ، طالباً من رجال فرقة الهوسار - حرس الباستيل وكانت قلوبهم مع الشعب - أن يخلوا أمكنتهم وأن يلقوا بأسلحتهم . وبهذا الحدث ارتفع مارا إلى القدوة - ذروة البطولة والوطنية ، وهانئ مضت أربعة أعوام حافلة - فأية طريق اشتقها مارا إلى المجد وأية طريق دفع بنفسه في شملها ؟

لقد كان في الآونة التى يمى فيها شارلوت صوب داره ، ينتقع في حوض استحمامه ، وقد تجرد من ملابسه إلا قليلاً ، وكانت الساعة حوالى منتصف الثامنة مساءً ، وكانت منهوكة محطماً يحمل في يده قصاصات من الورق ، وأمامه منضدة بثلاثة القوائم ، يتكى عليها كلام بالكتابة . كان وحيداً في مسكنه اللهم إلا إذا اعتبرنا خادمه الشوهاء رفيقة تطرد الوحدة وتخفف ألقاها . فهل انتعش به الطريق إلى أن يلقى خاتمه على هذا الوضع وفى تلك الصورة ؟

قُرع الباب وتكرر القُرع ، ونفذ إلى مسعبيه صوت لئين حلو ، يرفض صاحبه أن يقادر مكانه من الباب أو تقضى حاجته . كانت صاحبتة هى الواطنة شارلوت كورداي ، تلك التى تريد « أن تعينه حتى يسدى للوطن يداً » - عرف (مارا) من كلماتها تلك أنها صاحبة الرقعة الأولى التى وصلته ، فنادى خادمه : أن دعها تدخل ، ودخلت شارلوت قائلة : « أيتها المواطن مارا ! إننى من (كان) مهد الثورة ، وأريد أن أفضى إليك بأمر »

فرد عليها قائلاً : « اجلسي يا طفلى ! ما وراءك من أخبار كان وأخبار خونتها ؟ ومن ترى فيها من النواب الآن ؟ »

ولما سميت له شارلوت بمض النواب ، زجر « صديق الشعب » قائلاً : « ستطاح رؤوسهم في مدى أسبوعين » ، واجتذب المنضدة إليه ثم أخذ يكتب « باربارو ، بتيون . . . » واستندار في الحوض مصلياً من جلسته « بتيون . . . لوقيه و . . . » ، وفى أسرع من الملح استلقت شارلوت خنجرها من غمده ، ثم أهوت به إلى قلبه . لم تمهله حشجة الموت طويلاً ، فلم يستطع إلا صرخة واحدة : « إلى يا عزيزى - النوث يا عزيزى ! » سارعت الخادام إليه فأذا به لقي لا روح فيه ، وقد انكفأ على وجهه الذى بدا مغيطاً محنقاً . . . وهكذا قضى مارا « صديق

La rue des Vieux Augustines » احتجزت لنفسها غرفة سرعان ما احتواها فراشها ، وسرعان ما راحت في سبات عميق بقية النهار وطيلة الليل ، فلم تستيق منه إلا وشمس الجمعة قد علت في الأفق

غادرت شارلوت فندقها في ذلك الصباح لمقابلة النائب دوپريه ، فلما سلته رقعة صديقه باربارو علم أنها أن لهاحبها أوراناً تتماق بأمرتها ، وأن صديقه يرجوه مساعدتها حتى تحصل عليها من وزارة الداخلية . وأماها دوپريه بنيتها وقضت نشدتها في اليوم نفسه ، وغادرت ولم تشر بطرف إلى رحيل أو بقاء . وفى باريس طالمت نواحى عديدة وسوراً متباينة ، ولكنها لم تهتد إلى لقاء « مارا Marat »<sup>(١)</sup> والتحقق من سمات وجهه فقد احتبسه المرض إذ ذاك في منزله

بانت ليلتها في الفندق ، حتى إذا أسفر الصبح غادرت حوالى الساعة الثامنة لتشتري خنجرًا ، ثم لتأخذ عربة من ميدان الانتصارات « La place des Victoires » ميممة مسكن مارا بشارع مدرسة الطب رقم ٤٤ ، حتى إذا بلغت حال مرضه دون لقاءها ، فأهمها أن تفشل في وسيلة ركزت فيها كل آمالها وأحلامها . بالشارلوت الجيلة المنكودة ، وبالمارا القبيح المنكود ، أى قدر يسمى بقتاة من (كان) في أقصى الغرب ، ورجل من نيوشاتل في أقصى الشرق ليلتقيا ؟ وأى شأن يربط بين حطيمهما فيجنسهما إلى أن يصطلعا ؟

وإذا عادت إلى فندقها بشت إليه بورقة تحمل اسمها واسم بلدتها : « كان مهد الثورة » ، وتحمل فوق هذا رجاها ولهفتها إلى لقاءه ، حتى تدفع إليه « ما يمينه على أن يسدى لفرنسا يداً » ولكنها لم تتلق عليها جواباً ، نطقت إليه أخرى أقوى من سابقتها رجاها وعاطفة ، وحملتها بنفسها إلى مسكنه في مساء اليوم نفسه ١٣ يولية

كان مساء شاحباً ، وقد مضى على المساء الذى سقط فيه

(١) هو جان بول ملرا - ولد في نيوشاتل إحدى مدن شرق فرنسا سنة ١٧٤٣ ولا شب درس الطب ثم احترفه حيناً في لندن . وفى احترام الثورة عاد إلى باريس حيث أصدر صحيفته المروقة « صديق الشعب » وقاد الشعب بقله وخطبه حتى جاء عليه وقت حكم فيه فرنسا مشتركاً مع صديقه بروببير ودتيون في حكومة الارهاب الثلاثية .

الشعب « وليس إلى جواره صديق !

إلى هنا تمّ شارلوت ما دبرت ، وأتى لها أن تاتي جزاء عاجلاً محتوماً . . . فقد تدق الجيران على صرخة مارا الأخيرة والتفوا بشارلوت التي قاومت قليلاً ، حتى إذا حضر الشرطة أسدت نفسها لهم طائفة . واقتيدت لتوها إلى سجن « أبلي Abbaye » حيث احتوتها إحدى غرفه هادئة ساكنة ، وقد ماجت باريس حول محبسها ، ودوّت أصوات الشعب في خليط يتذبذب بين الدهشة والغضب والاعجاب

بعد أيام أربعة ، طالمت الجوع المحتشدة في قصر العدالة ، حيث تعقد محكمة الثورة ، وجه شارلوت جيلاً هادئاً كمادة ، وما إن دخلت القاعة حتى سرت فيها مهمة ليس من السهل أن نستبين العاطفة التي أوحى بها ! - وهناك وقف تنفيل Tienville ليقم الدعوى مستعيناً بالشهود وبيائع الخنجر الذي حضر المحكمة ليبدل بالواقعة أمامها ، ولكن شارلوت قاطعت قائلة « لا حاجة بكم إلى هذه التفاصيل

« إنني أنا القاتلة »

« وبإجماع من ؟ »

« لم يوح إلى أحد »

« إذا فما المانع ؟ »

« جرائع » ثم زادت في صوت صاحب مرتفع « لقد قتلت فرداً لأنفذ مئات الألوف ، جرمك لا ينجي أرباباً ، حيواناً مفترساً لأريح بلداً بأمره ! أفسد اعتنقت صايداً الجمهورية قبل أن تقوم للثورة قاعة ، ولم أكن أبداً في حاجة إلى الحاسة أو التشجيع !

وهكذا قطعت عليهم كل سبيل إلى الكلام ، وحقن الجمهور مشدوهاً بينما أتم القضاة إجراءاتهم في صمت وسكون ، وسدر الحكم بأعدادها للجريمة القتل فنلقته هادئة ، وفي لهجة رقيقة تشف عن روح نبيلة عالية شكرت محامها ، كما شكرت القسيس الذي أحضره لها معتذرة له في لطف بأنها ليست في حاجة إلى شيء من بضاعته !

وفي مساء ذلك اليوم نفسه خرج سكان باريس - على بكرة أبيهم - إلى الطرقات والمتنزهات ليلقوا على شارلوت نظرة أخيرة ..

وظهرت عربة السجن المشثومة تحمل تلك المخلوقة الصغيرة في ملابس الاعداء الحمراء ، حلوة وادعة ، غضة الالهة وياة التمنن تسي إلى حنفها وحيدة وسط هذا العالم الصاخب ! كثير هم أولئك الذين حيوها في احترام برفع قبماتهم ، فأى قلب لا يس هذا المشهد قرارته ؟ بينما طاولت بمض الآخرين نفوسهم فزججروا وهدرت أصواتهم لدى رؤيتها !

وفي « ميدان الثورة » حيث ينتظرها الموت ، لم يتسلل إلى أساريرها الجميلة الهادئة أى شحوب أو فرق ، بل حافظت على نباتها وحيويتها ؛ ولما تقدم الجلادون لقيده ساقها ، احتجبت متذمرة ، وقد حسبت أنهم إنما يفعلون ذلك رأفة بها ، وقد لحظوا في أنوثتها ضعفاً لا يقوى على مجابهة الموت إلا مكبلاً ! حتى إذا أفهموها أنها لإجراءات تتبع في كل حالة اعتذرت لهم باسمه وخضعت راضية !

وفي المشهد الأخير عند ما جردوا عنقها من لفائفه وهياؤه لسيف الجلاد ، تمشت في عنقها ووجهها الجليل حمرة من خجل المذاري ظلت تصبغ خديها النديين حتى بعد أن رفع الجلاد رأسها المفصول ليراه جمهور النظارة !

فيا للجمال ويا للقبج عثلين في شارلوت ومارا ! يصطدمان فيلاشي كلاهما الآخر ! ويا لكما من منكودين أهلها المدم كأسه مترعة ! فلتساما في أحضان أمكا الأرض ، تلك التي حملكما مكا !

محمد عبد العظيم الرياني

ظهر مديناً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصبي النجدي

فيه بيان الأغلاظ العلمية والدينية الواقعة في كتاب

هيك ( حياة محمد )

( وياع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ ملياً )

في الأدب الإنجليزي

## ٤- الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

الـشـبـاح : Ghosts

تشمل الأشباح التي وردت في روايات شكسبير نوعين مختلفين : أشباحاً مرئية وأشباحاً غير مرئية . أما الأشباح المرئية فهي التي في استطاعة كل شخص أن يراها ويصيرها . وأما الأشباح غير المرئية منها فهي التي اختفت عن أعين الجميع إلا عن أعين بطل الرواية . استعمل شكسبير نظرية الأشباح في عدد غير قليل من رواياته ومؤلفاته ، فهناك شبح في رواية الملك ريشارد الثالث لم يره إلا ريشارد وريشموند ، وهناك شبح آخر في رواية يوليوس قيصر يعجز الخدم عن رؤيته بينما يظهر جلياً لبروتس . وفي رواية سمبالين أشباح متعددة تظهر لبوشيموس في سجنه في حالة لا يراها الحرس والسجانون

وكانت مخاطبة الأشباح تقتصر على فقر قليل ممن كانت لهم قوة التنبؤ والاستبطاء ، فكان في استطاعتهم أن يوسلوا الأرواح في مهماتهم الخصوصية . وقد ذكرهم شكسبير في كثير من رواياته كرواية سمبالين ورواية يوليوس قيصر بقوله : « قد استطعت التغلب على روى الخفية بواسطة حيلك السحرية » وفي رواية ( All's Well That Ends Well ) بقوله : « هل يوجد هناك من مشعوذ يستطيع أن يزيل ما أمام عيني من الشك »

وهذا النوع من الرجال كان ينتظر منه الإلام بالثقة اليونانية واللاتينية والاضطلاع الواسع على الآداب القديمة . وتظهر لك هذه الميزة جلياً في رواية هملت عند ما يظهر الشبح ، فيقول ماركسيوس مخاطباً هورايو : « إنك متعلم ومطلع على الآداب ، ولذا وجبت عليك مخاطبته يا هورايو »

ويصحب ظهور الأشباح عادة تغيير في الأنوار ، فترى ريشارد

٥٠٤

الثالث يشعر بتغير في الأنوار قبل ظهور الشبح ؛ وفي رواية يوليوس قيصر ترى نفس الظاهرة بجلاء ووضوح ، فيرى بروتس تغيراً في ضوء الشمعة يسترعى انتباهه ويهتف قائلاً : « ما لهذه الشمعة قد شحب ضوءها ؟ من القادم ؟ »

وتظهر الأشباح بصورة عادية مرئية نفس الملابس التي كان أصحابها يرتونها قبل موتهم . ففي رواية هملت يظهر الشبح بنفس الأردية التي كان يرتديها الملك قبل وفاته ، وهذا ما دعا هورايو إلى الهتاف قائلاً : « إنه ليشبهه والدك تمام الشبه مرئياً نفس الملابس والأسلحة التي كان يرتديها قبل وفاته ؛ وفي رواية مكبث يظهر شبح بانكو بنفس الحلة التي وجد فيها قبل وفاته لساعات قليلة

ولهذه الأشباح طبائع غريبة وأخلاق شاذة ، فهي لا تستطيع احتمال الأسئلة الكثيرة بل تهملها . وفي رواية هنري السادس ترى الشبح وقد ضاق ذرعاً بالأسئلة الكثيرة التي وجهت إليه فأجاب سائله بقوله : « اسأل ما بدا لك ولكني لا أجيب إلا عما أريد الإجابة عنه »

وكانت الأشباح تفضل الصمت على الشغب والصوواء ، ولذا ترى بروسبيرو يطلب الهدوء التام عند ظهور الأشباح . وتختلف هذه المخلوقات النيبية عن سابقتها بكونها لا تستطيع الظهور مطلقاً إلا عند سدول الظلام ، فلا يظهر الشبح في رواية هملت إلا بعد غروب الشمس ؛ وعندما يشعر باقتراب النهار يفر مسرعاً إلى عاله العلوى . قالهـار والضوء عدوان لدودان للأشباح

قال جيبسن في ختام بحثه عن الأشباح : « إن المهارة والمقدرة التي أظهرها شكسبير في تصوير الأشباح لما يؤكد لنا اعتقاده الجازم بها <sup>(١)</sup> » وهذا الحكم الذي يصدره ناقد معروف بجبنه لجدير بالتفكير والبحث . نعم إن شكسبير لم يوفق في بحثه عن الأشباح وتصويرها كما وفق في الساحرات والجنيات ؛ فخيلة البدع التي رأيناها سابقاً لا تضاهده في الصورة الحالية ؛ وقد يكون هذا النقص ناتجاً عن عدم اعتقاده بالأشباح ؛ خصوصاً وأن الرجل لا يحسن ما لا يؤمن به ويستغف فيه ، فكان بحثه تموزه القدرة ، ونقصه الخيال الواسع والتفكير العميق

(1) Gibson, Sh's use of The Supernatural ? 31

## المفاريت : Devils

كان من السائد على معتقدات الناس في ذلك العصر أن المفاريت هم من سلالة الآلهة القُداى . وما عفاريت شكسبير إلا صور مصنوعة من آلهة الرومان واليونان والفلسفة الثيالية ، فهم مصدر شقاء وينبوع آلام . نعم إن مقدرتهم لم تصل إلى تلك الدرجة من القوة التي وصلت إليها مقدرة الساحرات ، ولكنهم رغمًا عن ذلك كانت لهم القدرة الكافية على الاختفاء بالشكل الذى يريدون

وفي رواية تايمنون أثينا (Timon of Athens) نرى وصفًا مسبقًا لهذا النوع من المفاريت عندما يتكلم المهرج قائلا : « إنها روح شريرة تظهر مرة بشكل سيد من الأسياد ، وأخرى بشكل عمام بارع ، وثالثة بشكل فيلسوف شهير »

وكانت في بعض الأحيان تتخذ لها وسيطًا من بنى البشر ، فيكون لمن من روحه مكانًا يقمن فيه ، ويعامل هذا الرجل (المسكون) عادةً أشد العاملة وأقساها ، فهو عرضة للشتائم وشئ أنواع المذاب والموان . وفي رواية ( مهزلة الأخطاء ) ( Comedy of Errors ) نرى بنسن يخبر خليله بأن زوجها وخادمه قد أصابهما مس من الجنون ، وأن المفاريت قد أخذت من روحيهما مسكنًا مريحًا ، فمن الواجب إذن القبض عليهما وايداعهما حجرة مظلمة

وفي حديث غرامى بين روزاليند وعاشقها رولاندر في رواية ( كما تريد ( As You Like it ) نرى الفكرة نفسها واضحة جلية ؛ فهي تقول له : « إن الحب جنون ، وما العاشق إلا مجنون يجدر به أن يكون حبيس غرفة مظلمة لا يدخلها الضوء ؛ ولكن الحب لا ينزل به هذا النوع من العقاب ، لأن الحكام والفضاة قد كانوا في نفس الحالة يومًا ما ، ولذا كان من الواجب مداواته بالتمسحة والمشورة »

يندر أن تجد عفرينًا من هذه المفاريت يظهر بشكله الحقيقي على مسرح شكسبير ؛ ولا أذكر في رواياته كلها غير مرة واحدة تراءى المفريت فيها للنظارة ، وهذه المرة تقع في رواية هنرى السادس عند ما تدخل المفاريت المسرح بعد إلحاف شديد

من الساحر (لابوسيل) ، فيقومون بأعمال كثيرة تعد في حكم المستغربة الشاذة ، فيدخلون دون أن ينطقوا بأية كلمة ، ومن ثم يلقون برؤوسهم إلى الأسفل ، ثم رفعونها مرة ثانية وينادون القاعة حيث لا رجعة بعد ذلك

من هذه الأعمال الغريبة التي كان المفاريت يقومون بها نستنتج أن هذه المخلوقات تعد من أغرب أنواع المنيات ، وتختلف عن سائر الأنواع الأخرى باختلافها الدائم في الهواء ؛ وقد ختم جيسن بحثه عن المفاريت بقوله : « إن شكسبير لم يهتم بهذه المخلوقات اهتمامه بالأنواع الأخرى المشابهة لها ؛ وإن مما ملته الشاذة لها الجديرة بالاستهزاء بدل الاحلال والتقدير <sup>(١)</sup> » وهذا الحكم على درجة كبيرة من الصحة والصواب ؛ فلا نجد هناك إلا عددا قليلاً من الأمكن التي يأتي ذكرها فيها ؛ ولوفرنا جدلاً أن شكسبير ذكرها في عدة أماكن رأينا أن ذكرها لها لا يتجاوز عددا من الأسطر ؛ ثم يتركها على ألا يعود إليها ثانية . ومن هذا يظهر جلياً أن شكسبير كان يحترق هذا الاعتقاد في المفاريت فلم يولها جانباً من اهتمامه

( يتبع ) فخرى ممد

(1) Gibson. Sh's Use of the Supernatural P. 33

## قسم البلديات قلم التنظيم

تقبل المطامات بقسم البلديات حتى ظهر يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٥ عن إقامة كشك للموسيقى من الأسمت المسلح بمفاعه

وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات مقابل ٥٠٠ ملجم ، وتقدم المطامات داخل مظاريف مختومة بالجمع الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٢ ٪ من قيمتها . وكل عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخراً لا يلتفت إليه

## الدكتور محمد اقبال فلسفته

معالم الايمان والاعتقاد بين وبين فروع الغرب

للسيد أبو النصر أحمد الحسيني

إن أول من لحظه التوفيق بين فلاسفة الغرب في أن يثبت بالدلائل القاطعة والشواهد الصادقة أن الانسان لا يقدر على حل العقد المتغلقة والمضلات النامضة في هذه الكائنات بالعقل المجرد، هو الفيلسوف الألماني الكبير (كانت). وعلى هذا أثبت كانت عن طريق فلسفي ضرورة وجود الله ولزوم الايمان به، وبرهن في مصنفه «تقد العقل العملي» على أن قواعد عقل الانسان العملي ودعائم عمله ووطائد اختباره ثلاثة: حرية الارادة، وخلود الروح، والايمان. ووضح أن الانسان لا يمكن أن يكون مسئولاً عن أعماله إذا لم يكن فيها بالخيار. لذلك كان (كانت) يكشف هذه الحقائق وأمثالها في عالم الفلسفة قد قام للانسانية بخدمة عظيمة ونحن قد أثبتنا لك في المقال السابق أنه على حسب فلسفة اقبال أيضاً يكون لكمال الانسان وتقدمه ثلاث دعائم: احراز الغاية القصوى من الحرية والاختيار بنيل الأناينة العقلية، ونيل الخلود باتصاف الأناينة بحالة الجهد المستمر، ثم بلوغ منزلة الخلافة الالهية التي هي نهاية عليا لذلك الكمال والتقدم: فعلى هذا يتفق اقبال مع كانت في التصورات الثلاثة أساسياً، ويختلف عنه في أن ليس لدى كانت تصور الخلافة الالهية. وأما تصور (كانت) الثالث وهو الايمان فهو أساس جميع تصورات اقبال، لذلك لم يحتاج اقبال إلى اثبات ضرورة وجود الله والايمان به في فلسفته كما احتاج اليه كانت، ولأن مبدأ فلسفة اقبال الأناينة المتصفة بحالة الجهد المستمر. وآخر الجهد المستمر الايمان كما هو أوله، لأن الانسان لا يقدم على عمل ويستمر فيه إذا لم يك مؤمناً بنتيجته ونجاحه فيه، وكذلك اقبال لم يحتاج إلى اثبات قانون أخلاق خارجي كما احتاج اليه كانت في بيان نظريته الأخلاقية، لأن قانون الأخلاق عند اقبال ينبج عن ضروريات

الأناينة الباطنية، فكل شيء يقوى الأناينة عنده خير وحين، وكل ما يضعفها شر وقبيح؛ فكان أناناية الانسان المتصفة بالجهد المستمر عنده ضمنية لانتاج ذلك القانون، فلا يحتاج إلى البرهان والدليل

ويختلف اقبال عن كانت في أن اكتساب الحرية والاختيار ونيل الخلود والدوام في فلسفته ثمرة الجهد المستمر لا يفوز بها إلا الذي اتصف أنانيتها بتلك الصفة، أي الجهد المستمر. فكل من رغب فيها وطمح إليها ينبغي له عنده أن يدعى لذلك بعزم وحزم لا يشوبهما على الزمن خلل ولا وهن، وأما كانت فقد تصدى لفكرة الحرية والاختيار والخلود والدوام في فلسفته ليقول إن المعدل جار في الكائنات وأنه يوجد فيها المطابقة بين الأعمال وتأنجها، وبين الأمور وعواقبها

إن فلسفة اقبال فلسفة تفاؤل لأنها تخلق في الانسان الأمان ترى، وتبث فيه المهمة القصية المرمية، وتحفز به لذل الجهد واستفراغ الوسع في تحقيقها بالشابة والواظبة. فهي لذلك تخالف فلسفة التشاؤم التي كان أكبر أعمها الفيلسوف الألماني شوبنهاور. كان شوبنهاور هذا متأثراً بأفكار البوذية الهندية، فنظر إلى العالم نظرة التشاؤم، وقرر أن حقيقة الكائنات القصوى هي الارادة، لكنها لا تقدر أن تملك لقصدتها مشمولاً خاصاً يمكن أن يعرض عملياً في الذهن، لأن كل مشمول مثل هذا يتناقض بخارجها. فذلك تملك الارادة الكونية لقصدتها نفسها، أي هي تريد لأن تريد. هي تريد لأن تكون حقيقياً، فان كل شيء حقيقي ليس إلا الارادة المثلة. فبهذا الفهم سمى شوبنهاور تلك الارادة «إرادة الحياة»، ورأى أنها جوهرياً شر، قلها لا يمكن أن تقنع؛ هي ألم. هي ألم غير القانع؛ وعلى هذا فالحياة حماة الطموح الذي لا يشبع، وفورة التوقان الذي لا يقنع. لذلك كانت نهاية الانسان دائماً في الشكوى، ولن يتم له حسن الحظ أبداً. ولكن اقبال لا يرى أن سوء الحظ وآلام الحياة أكثر فائدة للانسان إذ بها تربي أنانيتها وتدريب، فيطأ بها أعراف الجهد، ويتصور شرفات الكمال؛ ثم شوبنهاور ينكر الفردية أي وجود الأشياء المنفردة أو «الارادات المنفردة» كما يقول، ويرى أنها وهم لأنها تتوقف على الفروق الزمنية والمكانية، بينما أساس فلسفة اقبال هو الفردية

غص في البحر وحارب الأمواج  
فانت خلود الحياة في المحاربة

يتفق إقبال ونيتشة في تصور كمال الإنسانية؛ بيد أن نيتشة يراه ممثلاً في سوربمان (أى فوق البشر) وإقبال يراه في خليفة الله. والفرق الأساسى بين تصوريهما هو أن نيتشة ينكر وجود الله ويقول: «اقتلوا الله» *«Alles ist erlanbt»* «كل شيء مباح».

إن الطبيعة والدوافع الطبيعية ليست شرّاً. ائبدوا الحياة والكظم؛ ائبدوا الأدب والتقىد؛ إن أخلاق الرجل الحرسكون الأخلاق المبررة عن الذات حقيقة «، وعلى هذا فسوربمان نيتشة محصور في نفسه ومحدود في ذاته، ليس لديه غاية يجرى إليها ولا هم يتفرغ له. وأما الخليفة عند إقبال فخاله الأمانية العظمى، أى الله ذو الرحمة الواسعة، وصاحب العطاء المتصل، فله عنده

الدرجات العلى، يجزى بها بما يسمى؛ ثم سوربمان نيتشة حار عن العاطفة جاف الطبع، شديد الرطاة، لأن روح أفكار نيتشة أرستقراطية، فرأى أن حقيقة الكائنات القسوى «إرادة القوة»؛ وقرر أنها هى الدافع الرئيسى الأقوى في الإنسان

فعليه أن يطلبها، ولكن هذا الطلب غير المشروط كان يتجهم عنه نظام القيسم الذى ظلت الحضارة مشتبكة فيه إلى الآن. فهنا أتى نيتشة بفكرة « وراء الحسن والقبح<sup>(١)</sup> » فارادة القوة عنده لا تعرف حدود الحل والحزمة، والحسن والقبح، لأن كل شيء مصدره ونهايته قوة، عندها حلال وحسن، وكل شيء مصدره ونهايته ضعف، عندها حرام وقبح، والعقائد كذلك ليست عندها متساوية متماثلة، فالفرق الحقيقى بينها ليس عندها من حيث كونها حقاً وباطلاً، بل من حيث كونها مفيدة وغير مفيدة.

وهكذا شعرت أرستقراطية نيتشة بضرورة *Umwertung* «

*aller Werte*، أى تغيير جميع القيسم، فمثل في آن واحد دور

الفيلسوف، والمصلح الاخلاقى، والشارع، وخالق الحضارة الجديدة. وكان في دور ارتقاء أفكاره الأخير شاعراً بجمته هذه

فقل هذا النمط وصل نيتشة إلى تصور كمال الإنسانية في صورة « سوربمان » بإزاء طامة الناس الذين هم موضع قنوطه وبأسه. فانشأ فكرته الجديدة للحضارة بتوزيع الاجتماع

أمان بوجودين فلسفته وفلسفة إقبال معالم المشابهة وملامح المماثلة أكثر فهو الفيلسوف الألماني الكبير نيتشة. والمزية الكبرى لنيته هذا بين فلاسفة الغرب أن عبقريته سبغت الفلسفة بصبغة الإلهام، ولم تكن في الباحث الفلسفية بانتقاد الفن، بل أتت للعالم بمقياس جديد للحسن والقبح، والخير والشر. وفلسفته ثمرة مزيج من أفكار كانت، وشوبنهاور، وداروين. فقد استنبط من نظرية العلم لكائنات أن ليس هناك شيء يقال له علم، بل كل شيء خيال ووهم، وذلك لأن الحقيقة لا يكشف عنها بل تُخلق، ولا يبحث عنها بل تُخترع، وهو أيضاً قد قرر مثل شوبنهاور أن حقيقة الكائنات القسوى هى الإرادة، ولكن ليست «إرادة الحياة» كما رأى شوبنهاور بل «إرادة القوة»، وهى عنده مصدر كل خير وفلاح كما أن «إرادة الحياة» عند شوبنهاور منبع كل شر وخسران. وما أحسن قول البعض أن ما يراه شوبنهاور شيطاناً يراه نيتشة إلهاً.

يرى نيتشة أن «إرادة القوة» هذه دافع قوى غريزى سائر في الكائنات، فهو مركز الحياة الإنسانية، بينما إقبال يرى أن مركز حياتها هى الأمانية للصفة بحالة الجد المستمر. ولكنهما يتفقان في أن خوض غمار الآلام ومكابدة المصائب، ومماناة التوازل، مما لا يحصى عنه لسعود الإنسانية في معارج الشرف وبلوغ تقدسها غاية الكمال. ويتفقان أيضاً في أن هذا العالم المادى هو ذريعة إلى تلك البقية ووسيلة إلى ذلك المطلب، وأن الفن<sup>(٢)</sup> يجب أن يكون ملقى الجمال والقوة كما يتفقان في أن فلسفة الأخلاق المسيحية غير وافية لضروريات تقدم الإنسان وتسمنه ذروة الكمال. غير أن نيتشة قدح فيها قدحاً شديداً وانتقدتها انتقاداً لاذعاً وصرح بأن المسيحية تدعو إلى «أخلاق العبيد» في حين أن إقبالاً اكتفى بالإشارة إلى أنها غير مفيدة للإنسانية لأنها لا تقدر على إمالة اللثام عن قواها الخفية، ولا على الكشف عن استعداداتها الكونية، وذلك لأنها تدعو إلى الرهينة وترك العالم. وبناء عليه فدعوة إقبال خلاف ذلك كما قال في بيت ترجمته:

(١) أى « *Jenseits von Gut und Böse* »، وهو أيضاً اسم لمصنف نيتشة

(٢) قد بينا رأى الدكتور في الفنون واللاهى في مقال تأخر نشره لمرض الأستاذ صاحب الرسالة، وسينشر بعد فراغنا من فلسفة إقبال



خيرهم ، وتسبغ من خصب طبعها عليهم وتقربهم إلى نفسها ؛  
فكلما تقربوا إليها تدرج حياتهم في مدارج الكمال ؛ وهي تمثل  
الذين كما تمثل الشدة . وهاتان الصفتان لا يحبس عنهما لتقدم  
الاجتماع البشرى . قال إقبال في بيتين ما ترجمتهما :

اخلق من حفنة ترابك  
جما أوطد من حصن منيع  
وليكن في داخله قلب رقيق  
كالنهر في جنب الجبل الرامى

إن ما حدا بشيئته إلى هذه التصورات الاستقرائية هو  
خوضه غمار الأدب اليوناني ، وهو لم يشعر بأن النظام الاجتماعي  
اليوناني في هذا الأمر كان ناقصاً . فلو شعر بذلك لم يحسب  
العبودية كالجزم الضروري للتمدن . فظهر سوبرمان في الحقيقة  
على حساب تلك العبودية ، وهو يحوز قصب السبق على جهود  
هؤلاء المييد ، وعلى هذا فشخصيته عند فلسفة إقبال ليست  
بأكثر من شخصية مستجدة

« للعالمية » السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهنري

الانسان في طبقتين متناقضتين : ذات أخلاق السادة وذات  
أخلاق المييد . وقرر أن الأولى منشأ سوبرمان ، وأن لأفرادها  
وهم الأقوياء حق معاملة أفراد الأخرى وهم الضعفاء بالظلم  
والعدوان ، وإن واجب القوى في شريعة الارتقاء وتنازع البقاء  
الولوج في دماء الضيف وفتح جميع أبواب الجور عليه بكل  
وحشية ، فإن السوبرمان أو الانسان القوى الكامل الصالح للحياة  
لا يظهر إلا بتدمير الضيف غير الكامل وغير الصالح للحياة .  
وأما طبقة الضعفاء أو « ذور أخلاق المييد » كما يسميهم هو فقد  
خلقوا لاستعمال الأقوياء فقط ، وهم موضع بأس نيتشه ، لذلك سد  
عليهم نيتشه جميع أبواب التقدم كما سدت ديانة البراهمة على  
التبوذني في الهند

فذلك كان تصور الخليفة لدى إقبال خيراً من تصور السوبرمان  
عند نيتشه ، لأن روح أفكار إقبال الديمقراطية الإسلامية (١)  
فالخليفة عند إقبال شخصية محبوبة إلى جميع طبقات البشر تسمى  
(١) ليست الديمقراطية الأوربية لأن الدكتور إقبال يفرق بين  
الديمقراطية الأوربية والديمقراطية الإسلامية ، ونحن قد بينا الفرق في  
حاشية مقالنا السابق فراجع

## اعلان

وزارة الأوقاف بصفتها ناظرة على الأوقاف الخيرية  
والأهلية والحرمين الشريفين تشهر في المناقصة العامة عملية  
توريد وتركيب مائة كباس حديد تحت الزيادة والعجز  
المطلقين حسب الشروط والمواصفات الموجودة بقسم الري  
والميكانيكا ، وتقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ١٢ نوفمبر  
سنة ١٩٣٥ داخل مظاريف تقدم باسم معالي الوزير  
( قسم الإدارة ) وكل عطاء لا يكون مصحوباً بتأمين ٢  
في المائة من قيمته لا يلتفت إليه ، والوزارة حرة في قبول  
أو رفض أي عطاء بغير بيان الأسباب ، وعند رسو العطاء  
يكل التأمين إلى ١٠ في المائة

وتقدمي العطاءات الحق في حضور جلسة فتح  
المظاريف يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ من الساعة الحادية  
عشر صباحاً بسرائر الوزارة

سَلَامٌ خَيْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



١٠٥٧  
سنة ١٣٥٧

برليشة ذهب عيار ١٤

مضمون ٣ سنوات

لستعمله الحبيب كومانل لشرقية  
مكتبه رطبة خضير بشاي عبد العزيز بصر

## كلمات

للشاعر الفيلسوف جميل صدق الزهاوي

من النهر تبني خلق ذى عبقرية ولكنّه بالمعقريّ يخسّل  
من الثّرّ أما عقله فهو راجح يصيب وأما وجهه فجبل  
ويعرف من نور السهى ما يحجوها على أن ما يأتيه منه ضئيل  
إذا الشمس ذرّت من وراء حجابها فلا أرض منها غرّة وحجول  
ألام على تئيل من الشر شهرة ومن ذا يعاف الجدّ وهو أثيل  
يحيش بصدري الشعر من سورة الأسي

فأشدو به مستعبداً وأقول  
ورب يراع جاء في كفّ شاعر بما لم يجتّه السيف وهو صقيل  
إذا امتلك الذعر النفوس فجاء فأول ما يلقى الضباع عقول  
وإن حياة الشيخ بعد صراعه وخيبتة عبء عليه ثقل  
لقد حال مني كل شيء عرفته سوى ذكريات لا تكاد تحول

## الموت

للاستاذ فخري أبو السعود

أيا قادمًا نخشى النفوس قدومه لأنّ صديق في ثياب غريم -  
قدومك تحرير الأسارى ولو درت

لما أنكرتك النفس يوم قدوم  
كما ينكر الطفل الطيب وعنده له برّه أسقامه ودملّ كلوم  
بَلَوْتَ نفوس الخلق من عهد آدم فأنت بها يا موت جدّ عليم  
إذا قتت الدنيا على متعب بها بسطت له لآيأ جناح رحيم  
ومن شغف قبط الحياة أغشته ببرّد نسيم في الأصل رحيم  
فأنت ليضو العيش من دون محبه ومن دون قرابه أترّ حميم  
وأنت دواء الجسم قد خيل داءه تُسبّط الأذى عن مَوَجّ وسقيم  
وأنت بلاغ النفس حيرى مروعة بوادي شكوك جمة وموم  
وفيك ابتعاد عن جهالة جاهل وعن قول متأفون وفعل لثيم  
وعندك نسيان وطول زهادة لكل مُراد في الحياة عقيم  
فأنت - وإن غلّت النى - أطيب النى

وفيك نعيم المرء أي نعيم  
لعمرك ما حتى بأزوح منزلاً على الأرض من بال بها وريم  
ولو علم الجاني لما جاد حامداً على خصه بالموت جود كريم

حياة ولكن الحياة تزول ودنيا ولكن البقاء قليل  
ودهر طويل ماله من نهاية ولكن فيه العيش ليس يطول  
وشمس يشرّ الناظرين طلوعها ولكن لها بعد الطلوع أقول  
وفي كل يوم للنهار إذا أتى غدوّ ومن بعد الغدو أصل  
وربيع ولكن لا يطول زمانه وزهر ولكن يعتره ذبول  
وإن حياة المرء آفة نفسه فإن لم يقبل الموت فهي تنول  
وفي القبر قد تبقى من الميت أعظم ومما بناه أرسّم وطول  
وما الموت للانسان إلا ضرورة فينشأ من جيل تقاعس جيل

\*\*\*

يواري الفتى تحت التراب صديقه ويدفن في الأرض الخليل خليل  
كأن الأسي جمر له من لحيه ذائب أصلي نازها وذبول  
كأن فؤادي يستحيل بها إلى دموع ومن عيني الدموع تسيل  
أماي أرى ماء غير آروي صدى ومالي إلى الماء النير سبيل  
بيت ابن أرض الراقدين طلي الطوى

ويشبع من خير البلاد دخیل  
وما الأرض بين الراقدين شحيحة ولا الماء يسقي الراقدين قليل  
تهون فلول السيف في حومة الرغى إذا لم تصب نفس الكماة فلول  
أفكر في الماضي فلا هو عائد إلى ولا عن ناظرى يزول  
ولو كنت ممن يوثرون نفوسهم لملت مع الأيام حيث تميل  
طريقى طريق الصدق لو كان منجياً

فما لي حتى الموت عنه نكول  
ولي كبد أخشى عليها من الجوى إذا ما نأى بالطاعنين رحيل  
وكم مرة وارتيت صهي للثرى على وجه من عنوا على أهيل  
يقولون ما للدهر يقسو بصرفه عليك ويبنى غرّة ويصول  
ومن أنا من دهرى فيطلب غرّتى وينريه بي بعد الشيب ذحول

\*\*\*

أكون رأيت في الحياة مفكراً ولكن رأيت في الحياة يفيل  
ورب عويص في الحياة أمامه يظل سواء ظالم وجهول

هل كنت تلقى في الوري ساعياً  
سَيَّانَ مَنْ يَسَى إِلَى قُوَيْدٍ  
كم لحية أجدى على ربها  
جَرَحُ يد المرء له قَائِدٌ (١)  
كم مجرم يقتل روحاً ولا  
قد يُترك الأولاد من جهلهم  
صاح دَعِ الرُّوحَ ودع قُدْسَهَا  
نحن عبيد الجسد الفاسد

(١) من القود بمعنى الدعاس

## حامتي!

لشاعر الانجلىزى « كيتس Keats »

بقلم عيسى وهب الله الشميرى

أظنها من حزنها قد ذوت ورُفِر الموت على وكرها  
ويلاه! ماذا ساءها فأتزوت تطقى بالحزن سنا عمرها؟

\*\*\*

كانت على سيقانها الناعمة خيوط خز صنعتها يدي  
ترهبها ، كالوردة الخالدة على غصيف مائس أثلد

\*\*\*

جفت وأبلى السقم سيقانها واحسرتا من سكرات السقام!  
يا زهرة أذبل عيبدانها عصف الردى كيف تأك الحام؟

\*\*\*

قد ضحك الغاب زماناً مضى لم تسمدى فيه بنجوى الحبيب  
والآن قلبى وكرك المرتضى فكيف هدت جانبك الكروب

\*\*\*

والحمص الأبيض كم أشرقت فى ثرك الحبوب حياته!  
والشاعر الحزون كم صقت فوق لماك العذب قبلايه!

\*\*\*

فلنْ هربت النار لم تسمدى بين يدي فيها بعيش مصون!!  
لو كان أمر الموت طوع اليد فديتك اليوم بروحى الحزين!

وتحور يداك الحقد والخوف والامسى

وكلّ بلاد فى النفوس قديم

وكلّ بلاد لم يسغ طمسه الفتى عليه طوى بالأمس كشح كليم  
وأنت تريح السكر من كل تفضل بطلّ له فى حيرة ووجوم  
وتطوى عن الأجنان صفحة عالم مليء بأنواع الشرور ذميم  
وتطوى كتاب الأمس طيًّا وما مضى

به من بفيض ذكره وألم  
عنائه لبعض الناس أنك قادم وأن شقاء العيش غير مقيم

## المادة

للأستاذ محمود غنيم

فتشت بين الناس عن زاهد فلم تقع عيني على واحد  
ما أزهّد المرء إذا لم يجد وأبعد الزهد عن الواحد  
لا بُزّة إنسان بآدابه أو يقتخر بالسلف البائد  
المجد إما سطوة أو غنى ما العاجز المدمم بالمجد  
فقيمة الشعب إذا قسمها بقيمة الفرد بما يملك الـ  
كم طفلة أودع من مرة قد يحد المرء على رزقه  
لم يفتن بالمكرّمات امرؤ لم يفتن بالأخلاق ما قدّسا  
المسلم ولا يردع التاجر عن غشه لا يردع الناس دياناتهم  
لم يفتح الناس دياناتهم ليس جمال الطبع فى غادة  
يا زاعم العفة فى جد ما تبتنى من كاعب فاهد؟  
لم يتقى الله امرؤ للتي بل لنعيم الجنسية الخالدة  
قيمت الناسك حُريرة ذات قوام أغيث مائد  
تسفيه كأمّا حلوة العلم من خمر الجنان السبع البارد  
لولا جمال الحور ما لامست أرض المصلّى جبهة الساجد

# القصص

صور من هوميروس

## ١٢ - حروب طروادة

بتركولوس  
للأستاذ دريني خشبة

إن يكن قد أصاب الطرواديين قرحٌ فقد أصاب الهيلانيين قرحٌ مثله

ذلك أنه ما كاد ينادر نيتيوما حومة الرعى ، صادعاً بأمر الآله الأكر ، حتى أفاق الطرواديين وأحلافهم ، كما أفاق الهيلانيون من قبل حين غادر الحومة مارس وزبانيته أفاق الطرواديين إذن ، وصحا زيوس من رُحبة حيرا ، فأنهم إلا أن تدور الدائرة على جنودها من شائتي أخيل ، وإلا أن يحقق بهم مكر هذا السحر الذي ملأ جفنيه ، وغلق سميه ، وأطلق أيديهم في أبناء طروادة يضربون منهم كل عتق كريم وكل بنان ! !

وما هي إلا أن لم الطرواديين شعهم ، ورتقوا فتعهم ، حتى استطاعوا أن يبيدوا الزحف ، يأخذوا أعداءهم المزهوين بشدة النصر ، على غرة منهم ؛ ويطلع سيد الأولب من ذروة جبل إيدا فيمكن لهم من أبناء هيلاس ، ثم يسلط عليهم بواءته ، ويفتح عليهم الباب فتمطرهم بمذاب واقع ، ليس له من دونه دافع ، إلا أن يثار لابن ذيتيس ، حبيبة القلب ... ومنية النفس ! وفزع أوليسيز إلى ربحه ...

وأجاممنون إلى سيفه ...  
وديوميد إلى مسعدته ...  
وأجاكس إلى جُرّازه ...

وفزع الجنود إلى أسلحتهم يشحذونها ، وإلى دروعهم يلبسونها ، وإلى الجياد الصافيات يخطون صهواتها ... وإلى الواقعة فيخوضون حُبارها ، ويثيرون عجاجتها ... ولكن ! ... بلا جدوى ! ... !

فلقد طوردوا حتى بلغوا سيف البحر ؛ وضئيق عليهم حتى نظروا إلى المزعجة تأخذهم من هنا وهنا ؛ ورأوا إلى هكتور كالأسد المحصور يزول الساحة بزئيره ، ويثير في قلوب جنوده الحمية بأقدامه ، وأينا توجه توجه الموت في ركابه ، وقطرت النية من سنان سيفه ، واتقدح الشرر من حوافر خيله ، وتثار الزبد من أشداقها ، فيكون سحماً في قلوب الهيلانيين

وطرب الطرواديين لهذا النصر الفاجئ ، وشاعت الخيلاء في أعطافهم حين أبصروا فرأوا أوليسيز ينادر الميدان متأثراً بجراحه ، وأجاممنون يفر بنفسه كأحق الأجناد ، وديوميد محملاً إلى سفينته كمن يجود بروحه ، وأجاكس العظيم يولى دبره غير متحرف لقتال ... فأوقدوا مشاعلهم ، وأججوا نيرانهم ، واعتزموا اضرامها في أساطيل الأعداء ، ليكفوا طروادة شرورها ، وليأمنوا آخر الدهر مكروهم ، ولينصروهم ... وهنا ... .. ١١٢

انتفض بتركولوس وتركولوس الكبير ، صديق أخيل ، وأعز الناس عليه ، وجدوة الحاسة التاججة في ضلوع الميرميدون ! لقد نظر بتركولوس فرأى جموع الهيلانيين تنهم إلى البحر فتلق بتنادها فيه ، ثم يسبح منهم من يسبح إلى الأسطول الحزين الذي بدا عليه كأنه يرقي لرجاله ، ويكي على أبطاله ، ثم يترق منهم خلق كثير ، فيتلثمهم اليه ... إلى غير عود ... ونظر فرأى الطرواديين وأحلافهم وعلى رأسهم هكتور الهائل كأنه زوبعة يأخذون أبناء هيلاس غير راجحين ... ثم نظر أخيراً فرأى إلى سحابة المشاعل والنيران يزحفون إليها فيكونون غير بعيد من السفائن اليونانية ، لو أعمالوا منجنيقهم في قذفها لأصبح الأمر

السوداء التي أذنتهم طولها رهن الحياة وخيانة العيش ! !  
« ثم أين لوطننا قوة بمد هذه القوى المبعثرة ، وأنى له جيش  
بمد هذا الجيش المُرَاع ، ومن لنا بأسطول يمنونه للوج ،  
وتدل لمزنة البحار ؟ »

« أخيل ! »

« انظر إلى اليرميدون تكاد تقتلهم الحنقة على هذه  
البلادة التي أخذت سودا الحرب في نفوسهم ، وأطفأت جذوة  
البطولة في قلوبهم ... انظر إليهم يكادون يقذفون بجمعهم من  
سفائنك لنصرة إخوانهم ، وليلقوا على هكتور درسا في التزال  
لا يفسد آخر الحياة ! »

« مالك لا يحركك هذا اللظى يا أخيل ! إن هذا يوم ينسى  
فيه أمثالك أحقادهم ، ويدفنون سخائمهم ، ولا يزالون ألف  
متعسف أفاق مثل أجائمنون ! إن هذا يوم هو كله للوطن من  
دون أيام الدهر جيما ، فإذا أفلتت فرصته من أيدينا ، أفلتت  
عزة الحياة وكرامة العيش من أيدي الهيلانيين جيما ؛ ولن يقال  
في سبب ذلك إلا أن أخيل العظيم قد تقاعس بجنوده عن نصرته  
الوطن ، وفي سبيل إشباع شهوة الخسومة قاصر بالوطن ، وأبناء  
الوطن ، ومستقبل الوطن ... »

« إيه يا فتى هيلاس ، وحاشي ذمارها إذا اشتد بها الكرب ! »

« مالك نصمت هكذا كأنك تسمع إلى ألف قرن تناديك ،

وتضع نغمها فيك ! ؟ »

« أنا زعيم لك يا فتى هيلاس ، أن هذه الجحافل الطروادية  
سترد على أعقابها فتكون للهيلانيين الكثرة عليهم إذا رأوا  
خوذتك التي تكشف بلألائها شمس النحى ، وشاهدوا هذه  
الشعرات البيض التي تزين ذؤابها ! »

« أخيل ! »

رد على أعز الناس عليك ، فالظرف أخرج من المثل ،  
وأقصر من هذا الصمت ! والساعة مفزعة مروع ، وإخواننا  
في الوطن والآلهة يصرخون ويموتون !

« أخيل ! »

إن كان يزعجك أن تحث في عزمك التي عزمته ، فأذن  
لي أن ألبس خوذتك ، وأمتشق سيفك ، وأحل في دروعك  
السوابغ ، ثم أسوق اليرميدون بأحمك ، فأرد عادية القوم ، وأجبر

براذنهم ، ولأتوا على آخر قوة لبني قومه ، ولبناء بنو قومه  
القتل العظيم ! ولما د اليرميدون كاسق البال يحملون إلى هيلاس  
مصارع اخوانهم ، الذين تحلى عنهم أخيل وجنوده وهم  
نصي ما يكونون حاجة إليهم ؛ ولكن أخيل لا يرضى أن ينسى  
صنيته التي بينه وبين أجائمنون حتى في هذه الساعة المصيبة ،  
بهم من نصرة اخوانه اليونانيين ، وليدفع عنهم هذا البلاء الذي  
حز بهم ، وليرد عنهم عادية هذه الكلاب التي تنوشهم  
وترق صفوفهم ... ..

ورأى بئروكلوس أنه لا سبيل لمودة اليرميدون إلى وطهم  
بر من نجاحهم من نيران الطرواديين ، فيجرون أذيال الخيبة ،  
ويهمرون أ كفان القتل ، فثارت في قلبه نغمة الجندي الباسل ،  
وشتمت في أصابعه نيران الغيرة من مفاخرات هكتور ومناياها  
تربلأ بها السهل والجبل ، ثم تفر قلبه أسي وحسرة على هذه  
مروع الهيلانية التي تتدافع إلى البحر ... فكأها تفر من  
موت إلى موت ، وتنجم من حمام إلى حمام ... فذهب من  
دوره إلى أخيل ، واقنعهم بابه غير مستأذن ؛ وقال :

« أخيل ! »

« فتى هيلاس وقوتها في كل دوع ! »

« يا سليل الآلهة ، المرفع عن الدنيا ! »

« أرايت ! ؟ ... »

« ماذا تتحدث القرون إذا قيل إن الهيلانيين بادوا بالهزيمة ،  
وهم يهض أخيل لنصرتهم ؟ وماذا تحمل إلى هيلاس إذا أبنا غدا  
ير أنباء السوء ووقائع تلك النهاية المحزنة ؟ وكيف تلقى الأمهات  
مولات على أبنائهن ؟ وماذا تقول للوطن إذا طالبنا بصحيفة  
الحساب عن هذا اليوم الأسود الذي بدت بوادره ، وأخيل العظيم  
لا يحرك ساكنا ؟ وكيف تنق نعمة الشعب الذي ندين لهذا  
الزعر إذا خُنت أمانته ، وبددنا نفعه ، وحططنا آماله ؟ وأين  
نذهب الشهرة الطويلة التي أحسبنا خدعنا بطراوة العيش فيها  
والأساطير المعسولة عنها ؟ »

« أخيل ! »

« بل فكر متى إذا تم النصر لهذه القذاب الوائنة في دماننا ،  
هل يكون بحسبها أن تتأصل شأفة هذا الجيش المهزم ، وتمرق  
سنته ، ثم لا تترتم غزو هيلاس الممزقة ، لتثار لهذه السنين

إخواننا الهيلانيين ! ... ..

وكان يتروكولوس يكلم أخيل وكأنما كان وحى السماء ينزل على قلب البطل ، بلاغةً وحرارةً وقوةً إيمان وثبات يقين ، ونفساً تجيش بالحب وأقدس المني لوطنه مصاب في أبطاله ، منقوص في عزائم بنيه ، يتلفت من خلف البحار ، يرى ماذا يصنع أخيل في هذا الروع ، وجنوده اليرميدون !!

وهب أخيل من جلسته الخاملة ، وأخذ يده يتروكولوس في كلتا يديه ، وطبع على جبينه المرتجف قبلةً مهر بها سك التضحية في سبيل الوطن الشقي ، وقال لصديقه :

« يتروكولوس ! أخى ! يا أعز جنودى على ! »

« أما أن أذهب أنا فأرد هذه الذئاب ، فلا ! ولكنى آذن لك بكل ما أردت من قوة وعتاد ، ما دمت تؤثر صالح الوطن ، وتحرص على حقن دماء الهيلانيين »

يتروكولوس لا يدرك بخلدك يا صديق الكريم أننى انتويت أن أغضب غصبة لا انتهاء لها ؛ ولكنى أمرت أن أنتظر حكم السماء بيني وبين خصمى الذى لم يتورع أن يهتك أمر السماء ، فيسلبني غيرة خلعتها رعى على ، وقدمها لى جيش بأسره . . . . . هلم يا يتروكولوس قالبس دروعى واسبع عليك لأمتى ، وشرف خودتى مجيبتك ، ولأذهب أنا فأعد لك اليرميدون ، ولتبرهنوا لنا كراجيل أننا سيب مجده وخير جنده ، وذخيرته كلها حزبه كرب ، أو ألم به خطب

« هلم . . . . . هلم . . . . . »

\*\*\*

وانطلق أخيل فصاح بجنوده ، فهرعوا اليه في سفينه الحسین ، الراسية بمزل من سائر الأسطول الهيلاني . . . . . وم كان رائعا أن يتحرك أسطول أخيل ، في أخرج ساعةً صرمت بهذا الجيش للنير ، الذى وقع فريسة كله في قبضة الطرواديين ! لقد كان أجاممنون وجنوده ينظرون إلى سفن أخيل ؛ وكأنها الخلاص من الموت الذى يلاحقهم ، والمنايا التى ترقص فوق هاماتهم ، وهى مع ذلك فيها خيل لهم تزود عنهم ، وتشيع عن نجبتهم ، لأنهم لؤموا مع زعيمها ، وأنكروا عليه ما اعترفت به السماء أنه حقه خالصاً له !

ألق أسطول أخيل ، ولكنه لم يقلع ليفر من واجبه ، بل

ألق نحو الشمال ليكون جنده بآمن ، حين يهبطون إلى الشاطئ من كبسة الصفوف الظافرة ، المشغولة باستئصال شأفة الهيلانيين وماهى إلا ساعة حتى رسا شمال طروادة ، وحتى أخذ سيل اليرميدون ينهمر على شاطئها الشاحب فيملؤه ، وكأنهم ركف من العذاب أرسله نقيون ، رب البحار ، من أعماق اليم ليقتف بها في قلوب الطرواديين !

وطبق أخيل بجيشهم ، فجعل منهم خمسة جحافل كقطع الليل البهيم ؛ فكان على رأس الجحفل الأول البطل الملاحل ، والقائد المناضل ، منستيس بن سپرخيوس ، ابن السماء وصاحب العزة القمصاء . . . . . وعقد لواء الجحفل الثانى لابن هرمنز القدماء ، الفتى يودوروس ، الذى طالما كان جزءاً في فؤاد الردى ، ووجلاً في قلوب المنايا . . . . . ووضع على رأس الجيش الثالث القائد يزاندر ، ابن ميالوس ، صنى الآلهة وهبة الألب . وأقام على الجيش الرابع صديقه فونيكس ، الذى آثر البقاء إلى جانب أخيل حين أقبل مع أوليسيز وأجاكس ، يفاوضون في الصلح من قبل أجاممنون ؛ أما الجيش الخامس فقد عقدت رايته لابن ليرسيز ، ألكيدون العظيم ، أخى الثمرات وصاحب الثارات

أما يتروكولوس فقد أقدم يتخايل فوق عربة أخيل ، يجرها جواداه الأشهبان ، إكسانثوس ويليوس ، أعز خيل زفيروس ، وأحب دوابه اليه ، ولقد كان مظهره الوقور يمشى الروع في النفوس : فهوى خوفة أخيل تتألق فوق هامته ، والريح الماصف تداعب شعراتها فتجعل منها بركاناً يتذف اللحم . وهوى دروع أخيل سابئة فوق الصدر والفخذين والذراعين ، كأنها لبدت نبتت فوق جسد جبل شامخ ينطح السماء بروقيه

وتقدم أخيل فصاحه ، ومنحه شرف القيادة العامة ، وخطب الجنود فقال :

« إيه أيها اليرميدون ! هذا يومكم ! »

لقد كنتم تنظرون إلى الساحة ، وبكم من الظما إلى اقتحامها ما لو أن بعضه بكم الآن لزلتم الجبال وخرقم الأرض ؛ ولقد كنتم تمفلوننى فتفسون على فى أنى احتجزتكم هنا ووقفت فى سبيلكم دون نصرة إخوانكم ، فها هو الميدان أمامكم فاشفوا صدوركم وانتقدوا أجاممنون مما حاق به ، ولا يجرمنكم شئاً إلا نفيتوه ، أغيثوه فتصره هنالككم ؛ شد الآله أوزكم ، وإراكت



يحتملهم ، فهوى بالآلوف المؤلفة في جوف الخندق ؛ ولكن المؤخرة ، وكانت غالبية الجيش ، لم تنبه لما حل بأكثر المقدمة وكذلك تدافعت لا تلوى على شيء ، جثت من جثث الموتى تنطرة تمبر فوقها إلى . . . طروادة ١١

وأخذ الميرميدون السبيل على كتاب كشيعة فأبادوها ، ثم جال بتروكلوس جولة هنا وجولة هناك ، يبحث عن أصحاب النداءات المنكرة التي كانت تملأ الساحة شامة بالهيلانيين ، منذ لحظات ، فلقى منهم برونوس فصرعه ، ثم استود جفندله ، ثم ادريس فأرسل به إلى الجحيم ، وعشرات غيرهم من بتي طروادة التجب وكانت أعز أمانيه أن يلقى هكتور ؛ فدى إليه وضيق الحصار عليه ، وأرسل إليه طمعة لو أصابت جانب الجبل لصدفته ؛ ولكن ، يلهكتور ١١ لقد ربيع من هول ما رأى من مقاحمة بتروكلوس ، فألهب جياحه الضاريات فمدت به وأنقذته من قتله محقة وموت مبين

ولشد ما شده بتروكلوس إذ رأى إلى جانبه فتى هيلاس ، وعاربها الصنديد أجاكس ، يقود فلول الهيلانيين ، ويقدم بهم الحلبة كوة أخرى ؟ غير مبال بمجروحه التي يتدفق من أفواهاها الدم سيباً

وكم كان مرور الهيلانيين عظيماً حين استيقظوا من سكرة من عيهم فرأوا جنود أخيل الأنجاد يذودون عنهم ، ويردون عادية الموت والقتل والفرق من جوعهم ٢١

ونشبت ملاحة بين بتروكلوس قائد الميرميدون ، وساربيدون ٣١ البطل الطروادي الكبير ، أدت إلى مبارزة دامية ، وانتهت إلى خيصة طروادة في أشجع فتياها بدهكتور ١ إذ شكه بتروكلوس شكة جرعه غصة الردى ، وقربت إليه ورد الحمام ١١ . . . . .

وانكشفت غمة الهيلانيين

ولكن الميرميدون هم الذين دفعوا نحن هنا النصر ، ودفعوه غالياً وعززا ١١ يا قول ١

لقد قُتِل بتروكلوس ١١

فمن لك بسده يا أخيل ١١

دريش غشيت

( لها بقية )

(١) تأسف أشد الأسف لعدم اتساع هذه الصور لايزاد ملاحاة سارييدون وهي من أروع صور الألياذة ( الكتاب السادس عشر )

الأرباب أسيافكم ، وأجبت مجد الوطن بما أنتم قادمون عليه ؛ سيروا على بركة زيوس ، وفي حمى حيرا ، وعين ميرفا تكلوكم ؛ وانطلق الميرميدون فانطوت الأرض من تحتهم ، ورجف الوادى رجفة أجفل منها السهل والجبل ؛ إذ كانوا ينسابون فلا يرمون على شيء ، ويتدفقون لما محجزم لاية ١١ ، ولا يعوقهم جبرُف ، وتسجد من دونهم حزون الأرض وآكامها

وانتظم خيمهم ٣١ ؛ فبرز القلب تتبعه اليمين ، تلقاءها اليسرة ؛ وهزول الجناحان فأخذنا السبيل على جحافل الطرواديين ونفخ في البوق فانقض الميرميدون على مؤخرة الأعداء الظافرين ، فبدلوا نشوة ظفرهم بأنكر من سكرة الموت ، وانطلقوا في أبصارهم برق النصر فكان أغلش من ظلام المزيمة ؛ ونظروا فرأوا تلك الخوذة الذهبية التي ظال عهدهم بها ، وحسبوا أنهم أصبحوا بنجوة منها ؛ خوذة أخيل التي كانت تكفى وحدها لألقاء الرعب في قلوب الطرواديين ، وقذف الوجع في نفس كل منازل أو مناجز

وتصاح بعضهم ببعض : « يا قول بإساح ١ لقد أقبل أخيل ١ التجاء النجاء ١ أن كان الطاغية ؟ . . . . . » ثم تنادوا يحذر بعضهم بعضاً : « أيها الطرواديون ١ أخذوا حذركم ١ الفرار الفرار من النهاية الجبار ١ لقد قطع الميرميدون رجعتنا ١ دعوا الهيلانيين وانشدوا خلاصكم ١ إلى البوابة العظمى ١ أيها القتاتلون ١ لا تزحوا الجسر ١ القهقري القهقري ١ . . . . . » إلى آخر هذا النداءات المتزعجة الواجفة . . .

ولكن أين يهرب الطرواديون من بتروكليس ١ ؟ لقد كان إكساتوس ولبوس - الجوادان الكريمان - زوبتين متضخبتين ، تيران الرهج وتمقدان المعجاجة ، في جميع أنحاء الميدان : في القلب ، في اليسرة ، في اليمين ، في الجناح الأيسر ، في الجناح الأيمن . . . . . بل . . . في السماء ١١ وكانت الشمس ، شمس طروادة الملتهبة ، تنكس أضواءها على خوذة أخيل ، فتدب أثلة الطرواديين ١

واختلط نظام القوم ، وتدافعت جوعهم مذعورة مواية نحو الجسر الكبير ، القى نصبوه فوق الخندق حول اليوم . ولم

(١) أرض لاية أى كثيرة المجاورة والنوى

(٢) أطلق العرب الجيش على الجيش الكبير لأنه يكون من خمس فرق : اليمين واليسرة ، والجناحان ، والقلب - فهل كانوا يأخذون هذا النظام عن الأفريق ؟

### ٣- رحلة الى حدود مصر الغربية

مرسى مطروح ، سبره ، السلام

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

وللقوم عادات هجيية في الأفراح ، فاذا ماتم الاتفاق على المهر وقدره ستة ريات ( ومن هنا جاءت الأغنية القديمة : بستة ريال بابا جوزي ) تمهد به الزوج على أن يدفع عند حلول أحد الأجلين الموت أو الطلاق ، ثم يقدم قطعاً من القماش ، وفي ليلة الزفاف يدعى الأحياب إلى الطعام ، ويطوف عليهم خلال ذلك كشف بأسانهم ، فيتبرع كل منهم بما تجود به نفسه ، وقد شهدت فرحاً اكتب المدعوون فيه بأربعين جنباً ، وذلك الاكتاب بعد ديناً عليه يؤديه كلما دعى في أفراحهم ؛ وجل تكاليف الفرح تقع على عاتق أهل الزوجة ؛ وفي ليلة ( الحنة ) تمشط رأس العروس في حفل كبير يحضره نساء من الفريقين وتلبس حلى ثقيلة من فضة ، تكاد تغطي جسمها كله ، والهجيب أنها مقترضة من الغير فلا يجوز لها أن تلبس حليها الخاصة إلا بعد الزفاف ، وتلك الحلى المقترضة ترد لأصحابها بعد الزفاف بأيام ؛ وفي ليلة الزفاف يقوم بين الفريقين شبه شجار ومشادة يشترك فيها نساء الفريقين ، طائفة تحاول أخذ العروس بالقوة ، والأخرى تحاول منعها ، وعند بزوغ الفجر تخطفها إحدى السيدات وتجري بها الى بيت الزوج ، وبعد أن يدخل الزوج بها يظل الثلاثة الأيام الأولى فافراً من أهله وصحبه ، يخرج قبيل الشمس ويظل في الحقول الى مساء لكيلا يراه أحد منهم ، وفي ذلك شيء من التأدب والاحتشام لا بد منه ، ثم يد أهل العروس صحافاً من طعام ( الزقاق ) أو من المدس والخص يسمونه ( أطقاع ) يحمل الى بيت الزوج ، ويحاول أهل الفريقين أن يتخاطفوه في الطريق ، فان وصل الى الزوج سالماً أكله وإلا التهمه الناس في الطريق تيمناً . وفي صباح اليوم الأول من الزفاف ( الصباحية ) بعد أهل الزوج ( شجرة المرس ) وهي من جدار ( باب ) نخلة طيبة تخروط في شكل أنيق وفي طول العروس ثم ترين بالأعلام

وسائر أنواع الفاكهة ، وتعلق عليها الحلى الفضية التي كانت قد اقترضتها الفتاة ، ثم تحمل تلك الشجرة وسط حفل يكاد يحضره كل أهل البلدة ، ويطلق بها في الطرق إلى أن تصل بيت العروس ، وهناك تقوم وسط البيت أياماً وكأنها عروس قامت تعرضهم عن فتاتهم ، وإذا ما قاربت اليبس قطعت وأكل منها المحبون ، وبخاصة الفتيات اللواتي يرغبن في الزواج تيمناً وتبركاً ؛ وإذا ما رزق الزوجان مولوداً سارع المحبون بتقديم قطع من قماش أبيض إن كان المولود ذكراً أو قماش ملون إن كانت أنثى ، وقد تبلغ تلك القطع بضع مئات تعد حاجة الطفل من الملابس شطراً كبيراً من عمره . وإذا مات الزوج عكفت الأرملة في منزل من الناس جيمناً لتقضي عدتها وقدرها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي صبيحة اليوم الأخير تخرج لزيارة قبر زوجها ، والويل لمن لا قامها في طريقه إذ ينصب عليه نحسها ، لذلك يبنيه الناس بعضهم بعضاً ألا يخرجوا في الصباح لأن ( التولة ) ستكون في طريقها إلى المقابر ؛ وقد يطوف بالنساء مناد يبنيه الناس ، وبعد عودتها تقصد إحدى الميئون ( عين طموس ) فتقتل فيها ، فان اتفق أن لا قامها شخص أصابه نحسها كله ، وإلا استأجر أهلها فقيراً يلقاها ليرفع عنها وصمة النحس ، وبعد ذلك تسير حرة ولا خير على من لا قامها أو تحدث إليها أو رغب في زواجها . وعادة التدب ولطم الحدود شائعة لديهم ، ومقابرهم متجاورة ، إلا من اشتغل بالتدح ( القصابون ) ، أو بمصر الزيتون ، فهؤلاء يدفنون في أماكن نائية ، فكانهم من التبوذين

ومن أشهى الأطعمة لديهم ( لمصافة ) وهي مزيج من القرع والطاطم واللحم والزيت ، ثم ( إنسقطه ) وهي فطير بالزيت والمجوة ، وكل غذائهم بالزيت ، ولا يكادون يعرفون ( الحمن ) قط ؛ وأحب المشروبات عندهم ( اللقي ) يتخذ من عصارة لباب النخيل ، وذلك بأن يكشف عن لباب النخلة ويخرج وتوضع تحته آنية يتجمع فيها السائل ، وقد تدر النخلة منه صفيحة كبيرة ( ٤ جالون ) في اليوم الواحد ، وتظل تعطى النخلة هذا القدر زهاء نصف عام ، ثم تموت ، لذلك تزام لا يأخذون من النخيل الجيد إلا القليل كل يوم لكيلا يؤثر ذلك على حال الشجرة فيضئها . ولطم ذلك الشراب وهو طازج حلو لذيد ،

لكنه إذا ترك قليلاً تخمر فاصبح مسكراً قوياً ، وهم يشربونه متخمرأ ، وبعضهم يمتن تناوله

وبدهشني تقاعد الناس هناك عن استغلال موارد تلك الواحة الفنية ، فالأرض المترعة محدودة جداً وهم لا يحاولون زيادتها رغم وفرة المياه وسهولة الري فيها ، وحتى البساتين لا تلقى من عنايتهم إلا القليل رغم أن المنطقة جد سالحة لسائر أنواع الفاكهة والزيتون والحبوب ، وقد تمثل الفرق أمامي بحسب بين الناس هنا وبين أهل (الواحات الخارجية) فهم هناك يستنبتون الحبوب وبخاصة الأرز والقمح والشعير بكثرة هائلة ، وينتجون غلتين في الأرض الواحدة كل عام ، ويسنون بتسميدها ولا يفتأون يوسعون المساحة المزروعة يوماً بعد يوم وينقبون عن ينابيع جديدة ؛ أما أهل سيوة ففتوا كلون قانمون حتى ملاك الأراضي يتركونها لطبقة العمال (الرجالين) ولا يكاد المالك يزور بستانه مرة كل أعوام . وعندى أن الحكومة لو أوفدت طائفة من (الصحايدة) وأقطعتهم مساحات في مجاورة الينابيع في سيوة لكان لتلك الواحة شأن آخر في الانتاج خصوصاً وأن الطرق المعبدة الجيدة تربطها بالسلوم وبمطروح والسيارات تقطعها في أقل من عشر ساعات

فما نودع سيوة عائدين إلى مطروح ، ثم أنزلنا إحدى الطوافات وكانت أجمل البواخر وهي (الأميرة فوزية) إلى السلوم قفصتنا يوماً كاملاً ونحن نسير إزاء السواحل المصرية الوطنية . وفي باكورة الصباح دخلنا خليج السلوم الذي حاكى (الحويصلة) في قعره ورسونا على شاطئه الرمل فأشرقت الجبال من ورائه في طوق هائل أظهر لنا منحة الوقع من الناحية العسكرية ؛ وتلك الجبال هي حافة الهضبة الصحراوية الداخلية التي تؤدي إلى الحدود الطليانية وارتفاعها ١٩٠ متراً . وما كادت الباخرة ترسو حتى تهافت أهل البلدة عليها في جموع لا حصر لها من سائر الطبقات ، وكانت تبدو عليهم علامات الفرح والسرور لأنها تحمل اليهم مؤونتهم من الطعام والخضر والفاكهة وحتى الماء لأن موارد ماء الشرب هناك معدومة تقريباً ، فالباخرة تملأ لهم مستودع الماء الذي منه توزع على الموظفين يومياً بمعدل (سفيحة واحدة) لكل فرد ، وإن اعوزهم الماء بعد ذلك أتموا حاجتهم من المياه المكثفة من البحر وقد قامت الآلة الكثيفة (كندنسر) على حافة الماء . على أن ماءها رغم نقاوته غير صحي لخلوه من المواد اللازمة

للجسم التي لا يخلو منها ماء الشرب طادة ويوم وصول الباخرة عندهم هو يوم (اللوخية) ، لأن الناس جميعاً يطبخونها لأنها أسرع الخضر تعرضاً للينس والطيب ، ولقد خلقت الباخرة جو عمل وحركة غير عاديين وسط تلك الجهات الساكنة ، فقد تهافتت سيارات النقل والجالون وبدأت العربات المانعة الهوائية (Cable Cars) تشحن حاجات الجيش المسكر فوق المرتفعات ، فترى العربات تجرى معلقة على الأسلاك إلى قمة الجبل ثم تعود فارغة ، وحتى زوارق صيد الاسفنج تبتاع ماء الشرب لها من الطوافات ؛ والمنطقة غنية جداً بالأسفنج الجيد وأحباب امتياز صيده طائفة من اليونانيين يفدون من بلادهم في موسم الصيد ومعهم زوارقهم ، وهم لا يفهمون من العربية شيئاً قط . أما أهل السلوم فمن فقراء الأعراب يعيشون حالة على الوثاقين أو خدماً لهم ، وترى خيامهم القليلة مبعثرة في سفح الجبل ، وهم يحملون على مائهم المذهب بطريقة عجبية بسيطة ، فهم يحفرون الرمل بحوار البحر إلى عمق نصف متر فيتر الماء ويملأ الحفرة ماء لا بأس بذاقه ، وهم في فقر مدقع ويؤس مبيد خصوصاً بعد أن اجديت منابت الشعير إجداباً فاما هذا العام . ولقد أثر ذلك في حالهم الصحية والخلقية تأثيراً سيئاً ؛ وتلك فتنة جديدة بطف ذوى البر ، وقد تبرعت لهم الحكومة ببعض الفلال وإحداً لو ضاعفت إحسانها لحفظت طائفة من سكان مصر من أن يلقوا بأنفسهم إلى أحضان الطليان في حدود طرابلس مستسلمين كأشرى البال ؛ ونساء العرب هناك سافرات لمن جالهن الخاص في أرديتهن الجزاء ، وعند زواج إحداهن يجتمع الناس لتقدير المهر ويبدأ بنحو خمسين جنباً ، ثم لا يفتأ يتدخل شيخ منهم ويقول (وعشان خاطر) فينزل المهر إلى أربعين . ثم إلى ثلاثين ، وهكذا حتى ينزل إلى خمسة جنيهات . ويكاد الفرح يقصر على حفلات الرقص ، ولهم حركات في غاية الرشاقة والخفة ، وجل الرقص يوقع وفق تصفيق الجماهير ؛ ويطلب أن تكون الراقصة ويسمونها المحجالة من الأوانس اللاتي يرغبن في الزواج ، وهي رقص وعلى وجهها قناع ، وليالي الفرح أربع ، وفي ليلة الرقص تحمل النورس على حمل تحت هودج يسمونه (كرمود) ؛ ويمسك بالخطم القنيت البكر تفاؤلاً ويقتنصها إلى بيت الزوج . ومن عاداتهم أن الفتاة إن طلبها أحد ذوى قرباها فضل على غيره حتى

الطليانية ، وهم يمدون على طولها أسلاكاً شائكة . وزرنا طابية .



الأسلاك الشائكة على الحدود بين السوم وطرابلس

(مساعد) التي كانت لهم وتنازلوا عنها لمصر عند تحديد الترخوم بعد أن أخذوا هم جنجوب وما جاورها ، وتركوا لنا تلك الطابية ومسافة قدرها زهاء عشرة كيلو مترات حول السوم . وهجبت جداً لما لم أجِد من الاستعداد لدفع طوارئ المعجوم على تلك الناحية المكشوفة من حدودنا ، فسد الجنود غير كاف ولم يزودوا من الأسلحة بشيء يدفع عنهم أذى ، وحتى معسكر المدفعية رأيت يضرب خيامه أسفل الخليج بعيداً عن المرتفعات ، لذلك يوجس الناس هناك خيفة هجوم العدو بين يوم وآخر . فها اهتمت وزارة حريتنا بأمر تحصين ذلك الركن الهام من حدودنا فأمنتنا أخطاراً جسيمة وألقت شيئاً من مسئولية الدفاع عنا على حوائق أبنائنا المخلصين

قت من السوم طائداً إلى الاسكندرية في الطوافة ، وكان أجراها زهيداً جداً ، إذ للموظفين جميعاً أن يدفعوا ربح الأجر فقط ، والأجر الكامل للذهب والاياب خمسة جنيهات في الدرجة الأولى ، وبتنا فيها ليلتين ، ثم دخلنا الاسكندرية في باكورة الصباح محمد نائب

## انتظروا قريباً

الجزء الثالث من الشوقيات

للمرمر محمد شوقي بك

مكتبة النهضة المصرية

ولو لم يكن كفوؤا لها ، وإن حصل ما يخالف ذلك فرضت على المتدي الدية التي يختلف قدرها باختلاف مكانة الفتاة

حدث مرة أن أجل فتاة في قبيلة المعادة هناك طلبها كل فتيان قبيلتها فرفضت لأنها كانت تحب فتى من قبيلة أخرى ، وذات ليلة دبر ذلك الفتى أمر اختطافها ، فكانت الدية ألف جنيه . والمعجب أن سائر رجال القبيلة لابد أن يتعاونوا على جمع تلك الدية ودفعها وإلا لحقهم المار وثرهم الحق جميعاً ، وأنت إذا مررت على ( خيشة ) من خيامهم وحييتهم وجب أن ترج لتشرب الشاي . ولا بد من تقديمه ثلاث مرات : الأولى شايها ثقيل أسود مر لا يوضع به سكر قط ، والثانية أخف منه وأحلى ، والثالثة يقدم شايها وكأنه العسل وغليه التمتع ، ويدور الدق إلى اليمين مهما كان من أمر الجالسين ؛ وهم يمدنون الشاي لإدما ناً أثر على حجتهم ولو أنه أقدم من ناحية التطهير ضد بعض الأمراض .

وإذا اعتدى أحدهم على غيره وأصابه بسوء أرسل المصاب إلى ( التططار ) ، وهو يقابل الطبيب الشرعي عندما لتقدير الدية ، وقوله نافذ على الجميع ، وتلك الدية تسمى ( كباوة ) ، والقائل لا يقتل في عرفهم متى دفع الدية التي يقضى بها المحكومون ، وهي حوال مائتي جنيه في العادة ، ويتعاون كل أغنياء القبيلة على دفعها طفتنا ببلدة السوم فاذا بها قرية شبيهة بطروح في نظام بيوتها

البيضاء الوطيفة ، على أنها تفوقها وحشة ، إذ يشمر الواحد فيها بأنه في معزل عن العالم . تسلقنا المرتفعات في طرق لياتها من الأماجيب ، وكلما علونا بنا مشهد خليج السوم رائداً بديماً ، وفوق الهضبة زونا للمسكر وتوابه في أبنية بالحجارة ، فاخرة الانشاء ، لم أؤكد أصديق أنها أقيمت لجنودنا المصريين ، وهنا نمسك أشرطة مصرية بكامل رجاها ومعداتها ، وتشرف على الخليج إلى جانب المسكر طابية قديمة أسسها عصمت التركي سنة ١٣٢٢ ، وعليها الطنراء العثمانية ، ونشغل القسم الأكبر منها اليوم السجون . ولقد أخذنا نشق تلك الصحارى المجاورة ، ومررنا ببعض الآبار الرومانية القديمة ، ومن أكبرها بئر وعرة نزلناها فاذا بها تجويف في الصخر الهائل ، له شعاب ممدودة تحت الأرض فاذا ما أمطرت السماء سبال الماء إليها خلال فتحات ضيقة وترشحت أوساخه مع الرمال الراسبة واستقى منها الناس . ثم سرنا حتى وصلنا الحدود

# البريد الأدبي

## مسائل الشرق الأقصى — كتاب طريف عنها

في العهد الأخير لفتت مسائل الشرق الأقصى أنظار العالم ؛ وأثار توغل اليابان في الصين في بعض الدول التي تهتم بمجري الحوادث في الشرق الأقصى شكوكاً ومخاوف جديدة ، وأبدت اليابان رغبتها جلية واتحة في الاستئثار بوسط نفوذها على الصين ومقاومة النفوذ الأوربي ، وما تزال مشكلة الشرق الأقصى جامعة في الأفق تثير اهتمام السياسة الأمريكية ، والسياسة الروسية ، والسياسة البريطانية ؛ وقد صدر في أمريكا أخيراً كتاب عنوانه « سحب الحرب في آفاق الشرق الأقصى » . بقلم المحامي توم إرولاند ، تناول فيه المؤلف مسائل الشرق الأقصى باقانة ، وذهب فيه إلى رأي جديد لا يبدو أنه متفق مع اتجاه السياسة الأمريكية الحاضرة . وخلاصة هذا الرأي هو أن أمريكا يجب أن تنفض يدها من التدخل في مسائل الشرق الأقصى ، وأن تترك الصين لمصيرها ؛ ويستند المؤلف في عرض رأيه إلى ما يأتي :

(١) أن التجارة الأمريكية في الشرق الأقصى لا تبرز هذا التدخل من حيث أهميتها  
(٢) أن أمريكا مضطرة إلى إنشاء أسطول ضخم تكون نسبته للأسطول الياباني كنسبة ٥ إلى ٣ ، إذا أرادت أن تتدخل لمقاومة اليابان تدخلاً قفلياً ، وهذا يكلفها نفقات باهظة  
(٣) وحتى لو سلمنا بأن استطاعة أمريكا أن تنشئ مثل هذا الأسطول فإنه لا يفيد كثيراً ، بعد أن فرطت في جزائر الفيليبين ، وأصبح من المنذر أن تتخذ منها قاعدة بحرية للعمل في المحيط الهادي

(٤) أن اليابان سائرة في طريق التوسع ، ومن حسن الحظ أنها وجدت في منشوريا ( منشوكيو ) مجالاً لنشاطها ، وفي ذلك ما يدفع تيار الخطر الأسفر عن أمريكا

وقد أريد بهذا الكتاب أن يصدر قبيل انعقاد المؤتمر البحري إذ ينتظر أن تطالب اليابان فيه بزيادة نسبة أسطولها نظراً لما تتطلبه حماية أملاكها الجديدة ، ولأن أمريكا ما زالت تطالب في الصين

بسياسة الباب المفتوح ، وهي سياسة عتيقة أخت لا تبررها الظروف ويقرن المؤلف عرضها بإحصاءات ووثائق اقتصادية كثيرة عن نشاط مختلف الدول ذات المصالح في الشرق الأقصى ، وإحصاءات عن نفقات الحرب ، وعن القوى البحرية ، وسير المهاجرة ، وسير المواليد ، ويثبت فيه كل الماهدات التجارية ؛ ويتحدث طويلاً عن سياسة روسيا ونشاطها ، والكتاب غرضه وتدليله يعتبر وثيقة هامة في التاريخ السياسي والاقتصادي المعاصر

محنة الصحافة الألمانية في ظل الإرهاب الهتلري

من أبناء برلين الأخيرة أن جريدة « كرويتس تسيتونج » الشهيرة Kreuz Zeitung ( جريدة الصليب ) قد احتجبت واختتمت حياتها الصحفية الحافلة . وقد كانت « الكرويتس تسيتونج » من أعظم الصحف الألمانية وأقدسها ، وأعرقها في الهيئة السياسية ؛ وقد انشئت سنة ١٨٤٨ لتكون لساناً للحزب المحافظ الذي أنشأه البرنس بسمارك عميد السياسة الألمانية في القرن التاسع عشر ؛ وكان شعارها منذ نشأتها العبارة الشهيرة الآتية : « إلى الأمام مع الله ، في سبيل الملك والوطن . نحن الألمان نخاف الله ، ولا نخاف شيئاً آخر في العالم » ؛ وكان هذا الشعار ما يزال يطبع في صدر الصحيفة حتى أيامها الأخيرة أعني حتى ٣١ أكتوبر المنصرم وهو آخر أيام حياتها ؛ وكانت عند نشأتها تسمى « نوية برويشه تسيتونج » أو الجريدة البروسية الجديدة ؛ وقد اختطت لها منذ نشأتها زعة بروسية محافظة تعبر عن آمال العسكرية والارستقراطية وكيار الملاك ؛ وتظهر سباحاً ومساء في حجم كبير وتفوق في الانتشار معظم جرائد برلين الكبرى مثل التاجيلات وجرمانيا ، والدويتشه الجيمنة وغيرها ؛ وكانت ما تزال حتى العهد الأخير تتمتع بمركز حسن وذو بوع لا بأس به ؛ ولكنها كانت تعاني منذ قيام الحكم الهتلري صاعياً حجة في التعبير عن آرائها ؛ وكانت من الجرائد القليلة التي لم تقبل أن تخضع لأغلال النازي ونظرياتهم ؛ وقد كان مصيرها الإغلاق والمصادرة منذ بعيد لو لم تكن تتمتع بتأييد نفوذ بعض

وشواطىء بديمة ؟ وستنشأ بها مكاتب ومطاعم وفنادق وكل ما يجب لتوفير الوقت والراحة لساكنيها من نجوم وعجرب  
**مجمع اللغة العربية الملكي**

تقرر أن يبدأ مجمع اللغة العربية الملكي دورته القادمة في يوم الأربعاء ٢٠ من شهر شوال سنة ١٣٥٤ الموافق ليوم ١٥ من يناير سنة ١٩٣٦ ، وقد أرسلت سكرتارية المجمع رقع الدعوة إلى الأعضاء في مصر وفي الخارج . وقد استأنفت لجانه أعمالها بعد فترة الصيف ؛ وقد انمقدت مساء يوم الجمعة الماضي بدار المجمع لجان الآداب والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ؛ وستوالى جميع اللجان اجتماعاتها لتعد ماسيجرى البحث فيه في الدورة المقبلة ، وقد استدعت اللجان بعض الخبراء الفنين للاستشارة بهم في دراسة المصطلحات العلمية . هذا وستسجل إدارة المجمع بإصدار الجزء الثاني من مجلته تمهيداً لإصدار الجزء الثالث منها ، بحيث يكون الجزءان بين أيدي الأعضاء في مفتتح الدورة المقبلة  
**ذكريات عن أعلام الكتاب**

ظهر في لندن أخيراً كتاب طريف عنوانه : « الصلات » Contacts بقلم المستر كورتس براون . ومستر براون ليس كاتباً بمهنته ، ولكنه من أكبر « وكلاء الأدب » في إنكلترا ، وله صلات وثيقة بمعظم الكتاب الإنكليز ؛ وقد تقاعد مع كثيرين منهم على حقوق كتيبه . ويعرف مستر براون جيل الكتاب النصرم معرفة رقيقة ، ويعرف الكثير عن أحوالهم وعاداتهم ومشاربهم ، وأساليبهم في التفكير والكتابة ؛ وقد وضع كتابه المشار إليه متضمناً ما يعرفه عن كثيرين من أقطاب الكتابة في أواخر القرن الماضي مثل توماس هاردي ، وهول كين ، وجورج مور ، والسير كوفان دويل ، ولورانس وغيرهم . وكتب أيضاً عن بعض الكتاب الهواة مثل مستر لويد جورج واللابدي اسكويث وغيرهما . ونستطيع أن نستخلص من قراءة هذا الكتاب حقيقة مدعشة هي أنه وإن كان هؤلاء الكتاب يشغلون دائماً بعالم التفكير والخيال ، فإن بينهم رجالاً يحسنون فهم الأعمال التجارية والمالية ، ويحرصون على مصالحهم المادية حرصاً عجيباً . بيد أن الكاتب يروي لنا أيضاً أن بعض هؤلاء الكتاب كان يفرط في حقوقه المادية تفرطاً مدعشاً ، ويفرب لنا مثلاً توماس هاردي ، ويقول لنا إنه لم يتقاض عن حق تأليف روايته الشهيرة : « تحف شجرة القابة الخضراء » سوى ثلاثين جنيهاً !

الهيئات العسكرية والمحافظة القوية ؛ ولولم تكن تعتبر أراً من آثار مفتشها ببارك . بيد أنها رأت أخيراً أنها لا تستطيع الضى في رسالتها تحت تأثير الضغط والوعيد الذي يفرض على الصحافة الألمانية في العهد الجديد ، ولهذا آثرت الاحتجاب من تلقاء نفسها . وهكذا تخفى الصحف الألمانية الكبرى واحدة بعد الأخرى وتنحط الصحافة الألمانية تبعاً إلى عداد صحف الدعاية الحزبية . وباختفاء « كروتس تسينويج » ينهد ركن متين من أركان الصحافة الألمانية العريقة ، وتسجل نخبة صحفية جديدة لحكم الأروهاب السائد في ألمانيا

### مربية للسينما في إنكلترا

كانت الأفلام الأمريكية قد اكتسحت بلدان العالم ، وكادت الصناعة السينمائية تصبح وفقاً على أمريكا وعلى هوليوود مدينة الكواكب الشهيرة ؛ ولكن كثيراً من الأمم تنبته إلى هذا الخطر الذي يهدد صناعتها وثقافتها المحلية ، فهضمت تنشئ لها صناعة سينمائية خاصة ، وكانت بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وإيطاليا في مقدمة هذه الدول ، فشجعت صناعة الأفلام القومية ، ووضعت قيوداً غظفة على عرض الأفلام الأجنبية . وقد قرأنا في البريد الأخير أن إنكلترا قد بدأت بإنشاء مدينة خاصة للصناعة السينمائية على نخط مدينة هوليوود الأمريكية . وموقع هذه الضاحية الفنية في دنهام من مقاطعة بوكينهام شير حيث تكثر الناظر الطبيعية البديعة ؛ ومساحتها مائة وخمسة وستون فداناً من الأرض ؛ وتبني فيها الآن أبهاء التصوير ( ستوديو ) بإشراف المهندس والرسم جاك أوكي ، وستكون أعظم أبهاء من نوعها في القارة الأوروبية ، وهي ثمانية سيكلف صنعها ٤٠٠ ألف من الجنيهات ، وسيكون في كل منها مسرح مجهز بالألوان لا يضارعه أي مسرح في أمريكا ، وسيجهز بمولد كهربائي يكفي لاناوة مدينة كبيرة

ويتنظر أن ينفق نحو مليوني جنيه سنوياً على صناعة الأفلام في دنهام ، وأن يخرج كل عام ٢٤ فلماً من الأفلام المنظمة ، وستشارك في العمل فيها شركتان أمريكيتان كبيرتان إلى جانب شركات لندن الكبرى ، ويتنظر أيضاً أن يهرع إليها عدد كبير من نجوم هوليوود

ولم ينته إلى اليوم من المدينة السينمائية العظيمة سوى الهياكل الحديدية ، ولكن التطور أن تنتهي بعد بضعة أشهر ؛ وتحتوى الأرض المختارة على غابات وأشجار وروايض وأنهار



## ١ - البَحْثُ اللُّغَوِيَّة

عن قاعة البحث اللغوي بدار العلوم

## ٢ - القيس للانشاء العربي

تأليف : محمد رزق الدهشان  
عبد القوي الصاوي  
للمدرسين بالمدارس الثانوية

للاستاذ محمد سعيد العريان

## ١ - البَحْثُ اللُّغَوِيَّة

في دار العلوم اليوم نهضة موقفة ، يساهم فيها الشباب والشيوخ من أبناء هذه الدار التي قامت على العربية ستين عاماً ، فأجست القوام ، ورعت الأمانة ، وأدت حق العلم وحق اللغة أو في أداء ، وأثرت تأثيرها المبارك فيما ينتج الشعراء والكتاب من أدباء هذا الجيل ، وهي نهضة حكيمة ، بادية النشاط ، بادية الآفة ، تسير على سننها في وفق وقوة ، وتمضي إلى غايتها في حماسة ووقار ، فمن ثم لا تحاول أن تتسلخ جملة من ماضي التاريخ ، وهي تأتي كذلك أن تصمم أذنيها عن دعوة الزمن إلى الابتكار والتجديد وهذا أثر جديد ، هو مجسلي من مجال نشاطها الدائب ، تحاول به أن تثبت للحاقدين من خصوصها ، والماضين من بنينا ، أن عندها هي وحدها تلمس الأسباب لحياة هذه اللغة حياة تكون بها بين اللغات ما كانت بينها في تاريخها المجيد

ولقد أنشئت في دار العلوم منذ أكثر من عام « قاعة البحث اللغوي » لتكون ميداناً حراً لكل ذي فكر جديد ، يتناول شأننا من شؤون اللغة . والعلم اليوم عرض ويبحث ومذاكرة ، لا تلقى وحفظ واستدكار . من أجل ذلك أنشئت هذه القاعة في دار العلوم ، غير مسبقة مثال لها تتخذ قدوة وتسير على نهجها ، على أنها قد أجدت فأجدت ، واخترعت فقرعت ؛ وهذا كتابها للثاني « البَحْثُ اللُّغَوِيَّة » يدل على جهد مشكور ، وعمل له ما وراءه .

وهو نهج جديد في فقه اللغة . وفقه اللغة عند القدماء أبواب موضوعية ، تضم من أشات اللغة كل معنى إلى ما يشاكله ، وكل تعبير إلى ما يضاهيه ، وكل لفظ إلى ما يرادفه ؛ فهو عندهم معجم يرتب اللغة على أبواب الماني لعل أبواب الحروف ؛ وإذا كانت اللغات تتطور ، وحاجات العصر تطلب حقها من كل لغة ، وأن تتعرف اسمها على كل لسان - كان هم فقهاء اللغة من هذا الجيل أن يحاولوا الربط بين ألفاظ اللغة وحاجات العصر ، وأن يكشفوا عن أوجه الشاكلة بين كل اسم ومعناه وما يتصل به ، في أبواب يضمونها ، وترتيب يختارونه ، إلا أنه لا يخرج في جلته ومعناه عن طريقة القدامى في الوضع والترتيب

ولكن فقه اللغة شيء غير الكلمات الجديدة ، وغير الجمع والترتيب والتبويب ، وغير النحت والاشتقاق والترجمة - وإن يكن أولئك هو كل ما نطلبه من فقه اللغة لنسايرها حاجات العصر ؛ إنما فقه اللغة أن نحاول الكشف عن أسرار اللغة ، ونفهم طبيعتها ، وفقه ألفاظها على حقيقتها وفي معناها الذي مناه الواضع الأول ؛ ثم البحث في نشأة الكلمات ، وتاريخها ، واشتقاقها ، وتطورها ، وما استعملت فيه ودلت عليه من الماني في مختلف العصور ، وما صارت إليه وعرفت به في لغة الأحياء ؛ ثم ما يهدي إليه هذا البحث مما تريد به ثروة اللغة ، ويصح به أسلوب الكلام

وهذا هو ما رآه الأستاذ « محمد عبد الجواد » أستاذ فقه اللغة بدار العلوم ، فدعا طلابه إليه ، فها لم قاعة البحث اللغوي ، فكان من عملهم هذه البَحْثُ اللُّغَوِيَّة وهو كتاب دوري ، سيقته البَحْثُ الأولى إلى الظهور باسم : أمائش لغوية

وهذه البَحْثُ كما يدل عليها اسمها والغرض منها هي خلاصة البحث اللغوي لطلاب دار العلوم في السنة الدراسية الماضية بتوجيه أستاذهم ؛ وبلغ الكتاب ثلثمائة صفحة ، ثلثها مما اختير من بحوث الطلاب أنفسهم في « رابطة لغوية في قراءة القاموس المحيط » ؛ وقد نهج بهم أستاذهم منهجاً حسناً ، هو يصفه في مقدمته لهذا الباب :



«... رأينا أن توزع عليهم أوراق من القاموس المحيط للبحث فيها ، واستخراج كنوزها ودقائقها ، كي يوجه النظر إلى استعمالها ، والانتفاع بها في حركة التجديد اللغوي ... وقد طلب إليهم قراءتها بايمان وتدبر ، ووضع خط بالقلم الرصاصي تحت ما يصح أن يوضع لسمى لم يعرف له اسم عربي ، أو كلمات يتوهم أنها طالية وهي عريضة ، أو ما خرج به التحريف أو التصحيف عن عريشته الخ ، أو أية لفظة يرى أنها جديرة بالنشر . وإذا كان لأحدهم مقترح ، أو أراد التوسع في بحثه ، شفع ما قرأ من الأوراق بتوضيح كتابي ...»

ولقد كانت رياضة لغوية مثمرة ، تدل على جدوى هذا النهج الجديد في دراسة فقه اللغة ؛ وإننا نرى فيها جهد الطلاب ظاهراً قوياً ، وقد وفق الكثير منهم توفيقاً يدعو إلى الإعجاب والرضى ويثبت على كثير من الاطمئنان والأمل ؛ على أنه من التواضع أن يسمى كل هذا الجهد (محاولة) ؛ فما أغلو إذا ادعيت أنه قد أضاف إلى العريضة ثروة جديدة ، وكشف عن دقائق تزيدها قوة وغنى على أن في الكتاب غير ذلك بمحونا طريفة ، وأبواباً قيمة ، وطرائف من اللغة تروق الأدياء والمتأدبين . وإذا كان لنا أن نأخذ شيئاً على الكتاب ، فذلك أنه كان في حاجة إلى العناية بترتيبه وتقسيم فصوله خيراً مما رُتب وقُسم ، ليتأتى للاستفيد أن يقع منه على ما يريد من غير عناء ، ولكتبنا نحب أن نمتدحهم من ذلك ، بأنهم أرادوه ليكون أشبه بسجل يصور مجهودهم ، أكثر مما أرادوه كتاباً يتناوله القراء للبحث والانتفاع ، وإن كان هو عندنا لا أكثر من ذاك

## ٢ - القيس لمؤلفي العربية

وهذا كتاب آخر للانشاء العربي ، متين العبارة ، قوى الأسلوب ، جميل التقسيم ، أنشاء مؤلفاه الفاضلان ليستين به التلاميذ في دروس الانشاء العربي ، فجاء وافيًا بما يريدان من قوة السبك ، وحن الأداء ، ودقة التقسيم . واسكتنا نمود فنسأل عن مدى استفادة التلاميذ مما يسمونه « كتب الانشاء » ؟

ليس من شك في أن تعليم اللغة تلقين ومحاكاة ، هيثان التلميذ من بسد الخلق والابتكار ، ولكن وسائل التلقين ليست هي هذه الكتب التي توضع بين أيدي التلاميذ لغرض واحد ، هو أن يقرؤوها فيحاكوها ، أو ينشئوها فيقتبسوا منها ، والتي

لا ينظرون فيها إلا على نية الأخذ منها ، والاستمانة بها على نموذج العبارة وسقل الكلام ؛ إنما ينبغي أن يلحق التلميذ من حيث لا يشعر أنه يلحق : بأن يحمله على القراءة في كتب شتى ، وينمى فيه الشوق إلى المطالعة والنظر في كل كتاب ، ونوده حسن الاستماع لجيد الكلام ؛ لما يقبل التلميذ على مثل كتب الانشاء هذه بقلبه وعقله ، بل بحافظته ؛ فمن ثم لا تراه ينظر فيها إلا ليسرق أو يقلد ، فيؤول ذلك إلى أن تكون كتابته أشبه بطبع الرواسم (الكشيميات) : عبارات محفوظة ، وربط سقيم ، وفكر بليد ؛ ثم هي تجعل التلميذ لا يحاول أن يطالع أو أن يقرأ ، إلا إذا طلب إليه أن يكتب أو أن ينشئ ، المدرس ، أو للامتحان ؛ لأنه لم يتعود أن يقرأ ليلد نفسه ويروض عاطفته ، بل ليستين على أداء تكليف ثقيل ...

وهذه الكتب الكثيرة للانشاء ، أثر من اتجاه مناهج الدراسة ونظم التعليم في بلادنا ، هذه النظم التي تقس العلم بمدد التاجحين ونسبة النجاح ، ومن ثم كانت أكثر محاولات المدرسين في مدارسنا للوصول إلى هذه الناية ؛ أما تربية الملكات ، وسقل العقل ، وادراف الحس ، فذلك شيء قلما ترى من يحاوله منهم ، ولعل لهم عذراً كبيراً من ذاك ...

ولقد يكون من الخير الكثير لو أن المؤلفين الذين يحاولون تأليف الكتب للانشاء انجموا في ذلك انجماء آخر ، فوضعوا مهمهم وجهدهم في تأليف كتب أخرى مما يروق التلاميذ صفاراً وكباراً ، ويشوقهم إلى قراءته غير محوئين عليه ، مثل : القصص ، والرحلات المشوقة ، وغيرها ، ثم ليحطوا في ثنايا ذلك ما يريدون أن يضيفوه إلى ثروة التلاميذ اللغوية والعلمية . فليعلم إن فعلوا ذلك يكونون قد أضافوا إلى اللغة ثروة جديدة من أدب الأطفال ، وعوّدوا الأطفال أن يقرءوا التماساً للغة العقلية ومتاع الروح ، بدل أن يقرءوا رغبة في النجاح وحسب

وما نعي بهذه الكلمة - هذا الكتاب الجديد وحده ، قلعه من خير ما ألف في موضوعه ، وإنما هو رأى نحتي أن يسمعه كل القارئ على تلاميذ الانشاء في المدارس المصرية ما

محمد سعيد العليان

في يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ الساعة ٨ صباحاً بطنطا شارع ابن الفارض عمرة ٦ بكثرة أبو النجاسيخ متحولات مصرية ٣ كيلات قبح هندی ملك ميخائيل افندي ابراهيم بالجهة غاذاً للحكم غرة ١٩١٥ سنة ١٩٣٥ وفاة المبلغ قرش صاع كطلب جورسي بطرس التاجر بطنطا نقل راغب العمراء المحضور